جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية الآداب واللغات
قسم الآداب واللغة العربية

مذكرة ماستر

اللغة والأدب العربي

دراسات أدبية

أدب حديث و معاصر

رقم : ح2019/06/20

إعداد الطالبتين:

رندة بوحجر فاطمة الزهراء بوسيف

يوم :2019/06/24

الأنساق الثقافية
في رواية " حروف الدم " لـ: بشرى بوشارب

لجنة المناقشة:

سليم بتقة	أ. د.	جامعة محمد خيضر بسكرة	رئيسا
عبد القادر رحيم	أ. مح أ	جامعة محمد خيضر بسكرة	مشرفا و مقررا
أمال منصور	أ. مح أ	جامعة محمد خيضر بسكرة	مناقشا

السنة الجامعية: 2019/2018

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من لم يشكر الناس، لم يشكر الله"

لله الفضل من قبل ومن بعد فالحمد لله الذي منحنا القدرة على إنجاز هذا العمل المتواضع.

ونتوجه بجزيل الشكر وفائق التقدير والاحترام وأسمى معاني العرفان إلى الأستاذ الفاضل "عبد القادر رحيم"

لمساعدته لنا على إنجاز هذا العمل وعلى جميل صبره ونصائحه الصائبة

ونسأل الله أن يجزيه عنا خيرًا

وأن يجعله ذخرًا لأهل العلم والمعرفة

كما نشكر اللجنة المناقشة التي شرفتنا بمناقشة بحثنا هذا

جزاكم الله عنا كل خير

كما نتقدم بالشكر الجزيل لكل من ساعدنا من قريب أو بعيد.

مقدِّمة

تعد الرواية فنًا نثريًا حديث النشأة ظهر في عالمنا العربي مع بداية الاجتياح الاستعماري لأقطارنا المشرقية منذ القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وذلك بفعل احتكاك العرب بالأدب الغربي وثقافته، ومن ثم تبوأت الرواية منزلة هامة على الساحة الأدبية منها والنقدية لتغدو ملحمة العصر الحديث كما يقول النقاد.

ومع التطورات الجذرية التي عرفتها مناهج النقد الأدبي المعاصر التي غيرت منحى قراءة النص الأدبي وهشمت نسق التفكير النقدي المعتاد، مُنحت للرواية آفاق واسعة تنفتح على قراءات وتأويلات جديدة لتخرج بذلك من حيّز المتعة والتسلية للتعبير عن رؤيا وتصور فكري ثقافي للكاتب.

وهذا ما يحيلنا للحديث عن النقد الثقافي الذي يسعى إلى مساءلة البنى النصية من منظور ثقافي ليكشف عن الأنساق الثقافية التي تمارس لعبة الخفاء والتجلي في الكشف عن مضمراتها داخل الخطابات المركزية وحتى الهامشية.

وبما أن الأنساق ذات طبيعة فاعلة ومؤثرة تتعدى وظيفتها وجودها المجرد في النص، باتت اليوم محل استقطاب لدى كثير من الكُتَّاب للتعبير غير المحدود عن أفكارهم وتصوراتهم التي لا يمكن البوح بها مباشرة.

ونظرا لهذه الأهمية التي تحتلها الأنساق داخل العمل الروائي ارتأينا البحث في موضوعنا المعنون بـ:"الأنساق الثقافية في رواية "حروف الدم" لـ: بشرى بوشارب".

وتأسيسًا على ما سبق ذكره أثارتنا جملة من التساؤلات نذكر منها:

- ما الاستراتيجية التي تبنتها الكاتبة في تمرير أنساقها الثقافية داخل المتن الروائي؟
- ما الهدف الأسمى الذي سعت لإيصاله للمتلقي عبر هذه الأنساق؟
- ما المكانة التي تحتلها المرأة في نظر المجتمع الذكوري؟

وقد ارتأت صاحبتا البحث أن تطرقا هذا الموضوع محاولةً للاقتراب من فهم آليات التخفي التي تتستر بها الأنساق آمنة على نفسها من الانكشاف، إضافة إلى أهميته العلمية التي تُكسب المستهلك زادًا ثقافيًا واسعًا.

ولبلوغ المرامي التي سطرناها سابقا حرصنا على تقسيم بحثنا هذا إلى مقدمة تلاها مدخل وفصلان تطبيقيان وأردفناها بخاتمة ضمت مجموعة من النتائج المتوصل إليها.

ففي المدخل الذي جاء بعنوان "الجهاز المفاهيمي للأنساق الثقافية" تطرقنا لمفاهيم البحث وهي: النسق والثقافة والأنساق الثقافية ثم النقد الثقافي، وقد احتوى الفصل الأول الموسوم بـ:تجليات الأنساق الثقافية في رواية "حروف الدم" لـ: بشرى بوشارب على ثلاثة عناصر تضمن الأول "صورة المرأة" بمختلف تمثلاتها، المثقفة والمضطهدة ثم المهاجرة، والثاني بعنوان "النسق الديني" الذي انقسم إلى جانبين تناول الأول "دفاع المسلمين عن نبيهم الكريم" وقد عنون الثاني بـ"دينًا وخلقًا سبيلا في التوبة"، في حين حمل العنصر الثالث والأخير في الفصل الأول عنوان "الوجهة الأوروبية".

أما الفصل التطبيقي الثاني الموسوم بـ:استجلاء الأنساق الثقافية في رواية "حروف الدم" فقد احتوى على أربعة عناصر، كان أولها بعنوان "نسق الأسماء بين الظاهر والمضمر" بحيث انقسم هذا العنصر إلى ثلاثة: اسم صالح وحنان ونرجس، في حين وُسم الثاني بعنوان "النسق السياسي"، وقد تضمن العنصر الثالث من هذا الفصل عنوان "النسق الاجتماعي"، ليكون العنصر الرابع موسومًا بـ"عادات وتقاليد المجتمع الكويتي" لنختم بحثنا بمجموعة من النتائج التي توصلنا إليها أثناء البحث والدراسة.

وقد اقتضت خطة البحث منهج النقد الثقافي كونه الأنسب في التعامل مع مثل هذه الدراسات الثقافية.

وخلال هذه الدراسة استندنا على جملة من المصادر والمراجع التي شكلت زاد هذا البحث ومرتكزه العلمي لعل أهمها: المصدر الأم المعتمد في هذا البحث رواية "حروف الدم" لـ: "بشرى بوشارب"، كتاب "النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية" لـ:"عبد الله الغذامي"، كتاب "جدل الجمالي والفكري قراءة في نظرية الأنساق المضمرة عند الغذامي" لـ: "محمد بن لافي اللويش"، كتاب "المرأة ماضيها وحاضرها" لـ:"منصور الرفاعي عبيد".

وبحثنا كأي بحث علمي لم يكن ميسّرًا خاليا من الصعوبات والعراقيل نذكر من بينها: قلة الدراسات التطبيقية التي تعالج موضوع النقد الثقافي بحكم حداثة هذا المجال.

ولا يفوتنا في ختام هذه المقدمة أن نشكر الله ونحمده لجلاله الذي أعاننا على إنجاز هذه المذكرة، كما نتقدم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان للأستاذ الدكتور "عبد القادر رحيم" الذي كان لنا خير سند ودعم في تصويب أخطائنا ونعم موجه للتحسين المتواصل الذي يطرأ على البحث كل مرة حتى يبلغ صورته الحالية، كما نتقدم بالشكر الجزيل لأعضاء لجنة المناقشة الذين سيشرفوننا بمناقشة بحثنا هذا.

مدخل:

الجهاز المفاهيمي للأنساق الثقافية

1 ـ النسق

1 ـ 1 المفهوم اللغوي

1 ـ 2 المفهوم الاصطلاحي

2 ـ الثقافة

2 ـ 1 المفهوم اللغوي

2 ـ 2 المفهوم الاصطلاحي

3 ـ الأنساق الثقافية

4 ـ النقد الثقافي

خلاصة المدخل

1 ـ النسق

1 . 1 المفهوم اللغوي:

لقد شغل مصطلح "النسق" حيِّزا عريضا من الاهتمام في الساحة الأدبية منها والنقدية، كما شهد هذا المفهوم شيوعًا واسعًا خاصةً في السنوات الأخيرة.

وإذا ما أردنا ضبط هذا المفهوم من الناحية اللغوية فلابد من العودة إلى أمهات المعاجم.

الأنساق في اللسان العربي جمع مفرده "نسق" وقد جاء تعريف هذا المصطلح في "لسان العرب" بمعنى: « **النَسقْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَا كَانَ على طَرِيقَةِ نِظَامٍ وَاحِدٍ، عَامٍ في الأَشْيَاءِ، والنحويين يسمون حروف العطف حروف النسق لأن الشيء إذا عطفت عليه شيئا بعده جَرَى مَجْرَى واحدًا، ورُوِيَ عن عمر رضي الله عنه قال: نَاسِقُوا بَيْنَ الحَجِّ والعُمْرَةِ. ويُقَالُ نَاسَقَ بَيْنَ الأَمْرَيْنِ أيْ تَابَعَ بَيْنَهُمَا.**»[1]

ولا يختلف قاموس "المحيط" في تعريفه للنسق عن ما جاء به لسان العرب من ذلك فالنسق « **مُحَرَكَةٌ ما جاء من الكلام على نظامٍ واحدٍ والنَسَقَانِ كَوْكَبَانِ يَبْتَدِئَانِ مِنْ قُرْبِ الفَكْه وأَنْسَقَ تَكَلَّمَ سَجَعًا.**»[2]

أما بالنسبة لقاموس "لاروس" فوردت لفظة نسق بمعنى: « **نسق نسقا فهو ناسق الشيء نظمه، نسق القلادة، جعله على نسق واحد بنفس المعايير.**»[3]

على ضوء التعريف اللغوي لمصطلح النسق يمكن تحديد ما ينطوي عليه هذا المفهوم من معانٍ:

- تنظيم الشيء وتتابعه.

---

[1] ابن منظور، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت)، مج10، مادة (ن . س . ق)، ص: 352،353.

[2] الفيروز آبادي، **قاموس المحيط**، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط8، 2005، مادة (ن . س . ق)، ص: 925.

[3] المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، **المعجم العربي الأساسي لاروس**، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، تونس، (د.ط)، 1988، مادة (ن . س . ق)، ص:119.

- ما كان على نظام واحدٍ وسار على نحو واحدٍ.
- عطف الكلام بعضه على بعض لذلك سميت حروف العطف حروف النسق.

ومن خلال ما سبق ذكره يمكن تحديد معنى النسق في اللغة على أنه انتظام للأشياء وتتابعها أو تتاليها على شاكلة واحدة. ولكن كيف جاء تعريفه عند أصحاب النقد والدراسات الحديثة في اصطلاحهم؟.

1 ـ 2 المفهوم الاصطلاحي:

يعد مفهوم النسق من المفاهيم البسيطة والزئبقية في الوقت نفسه، وهذا ما أدى إلى اختلاف العلماء حول تعريفه، وأبرز من تناوله اللساني "دي سوسير" **(F .De saussure)** الذي عرَّف اللسان بوصفه « **نسقا من العلامات، وذلك يعني بأن كل علامة تختص بعلاقات تقيمها مع علامات أخرى.**»[1] ثمة إذا تقارب بين مفهوم النسق والعلامة فكل منهما يستند إلى فكرة العلاقة.

يرى كثير من البنيويين أن النسق العام للنص الأدبي يتشكل من الأنساق الكلية بمعنى التكوين الدلالي للنص الأدبي ينطلق من النسق اللغوي الكلِّي، فالنسق بوصفه كلاًّ موحدًّا هو نُقطة البداية التي يمكن انطلاقا منها تحديد العناصر المكونة له فمحتوى الكلمة لا يحدده في ما تحتويه بل ما يوجد خارجها، بمعنى تتحدد علاقاتها ببقيَّة الوحدات داخل السياق، في حين ينادي البنيويون الماركسيون بوجود علاقة بين النسق الأدبي والأنساق الأخرى كالاقتصادية والاجتماعية.[2] ومنه نميز بين اتجاهين مختلفين للبنيويين في نظرتهم للنسق بتحديد المعنى انطلاقا من الداخل، في حين الموقف الآخر يسلم بوجود ارتباط وثيق بين الأنساق الخارجية والنسق الأدبي.

وإذا ما تأملنا في الدراسات ما بعد البنيوية نجد أن مفهوم النسق قد اتَّخذ مسارًا مغايرًا من جوانب عدَّة، نجد مثلا الناقد عبد الله الغذامي يطرح النسق بوصفه مفهوم مركزي في

---

[1] ماري نوال غاري بريور، **المصطلحات المفاتيح في اللسانيات**، تر: عبد القادر فهيم الشيباني، (د.ن)، سيدي بلعباس، الجزائر، ط1، 2007، ص:106.

[2] ينظر: عبد العزيز حمودة، **المرايا المحدبة (من البنيوية إلى التفكيك)**، عالم المعرفة، الكويت، الكويت، (د.ط)، 1998، ص:181.

مشروعه النقد الثقافي معرِّفًا إيَّاه بقوله: « **يتحدد النسق عبر وظيفته وليس عبر وجوده المجرد، والنسق هنا من حيث هو دلالة مضمرة فإن هذه الدلالة ليست مصنوعة من مؤلف ولكنَّها منكبتة ومنغرسة في الخطاب مؤلفتها الثقافة ومستهلكوها جماهير اللغة من كتاب وقراء.**»[1] أي إن النسق مفهوم تفرزه الثقافة وتبنيه عبر خطابها المتعدد، فينغرس في وجدان الفرد نسقا مضمرًا خفيًا يتحكم بكثير من مظاهر سلوكه ويوجهها.

عند تجاوز تقديم عبد الله الغذامي فإننا نجد مجموعة من التعريفات لبعض من النقاد الذين شغل مصطلح النسق تفكيرهم، أمثال جابر عصفور الذي يرى أن النسق «**نظام ينطوي على استقلال ذاتي، يشكل كلا موحدًا، وتقترن كليته بآنية علاقاته التي لا قيمة للأجزاء خارجها.**»[2]

فالنسق وحدة قائمة على أساس آنية العلاقة الرابطة بين الأجزاء والعناصر المشكلة له، فهو كل ما اختفى خلف الخطاب، وقد عملت الثقافة على ترسيخه في عقلية المتلقي وهو ما يتركه النص من تأثير في ثقافة الأمة، فالخطاب يحمل خلفه أمورًا يسعى لترسيخها في عقلية المتلقي، وذلك من خلال طرق خاصة يستخدمها، فالأثر الذي تركه الخطاب في ذائقتنا يمكن تسميته بالنسق الذهني وليس بالضرورة أن يؤثر هذا الخطاب في المتلقي ومنه يصبح النسق الذهني غير فاعل بسبب انعدام الفاعلية في التأثير الذهني مما يجعله نسقًا كامنًا غير نشط في العملية التأثيرية في عقلية المتلقي.[3]

وهذا النوع من النسق ـ النسق الذهني ـ يتستر خلف عباءة الخطاب « **وأثره يظهر في المتلقي فيما بعد، وهو يحمل الإيجابية والسلبية معًا فهناك أنساق تعد إيجابية تساعد على بناء المجتمع الإنساني، كما توجد أنساق سلبية تساعد على بث الدمار فيه وقد وضح**

---

[1] عبد الله الغذامي، **النقد الثقافي (قراءة في الأنساق الثقافية العربية)**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2005، ص:77 .79.

[2] إديث كريزويل، **عصر البنيوية**، تر: جابر عصفور، دار سعاد الصباح، الكويت، ط1، 1993، ص:415.

[3] ينظر: محمد بن لافي اللويش، **جدل الجمالي والفكري (قراءة في نظرية الأنساق المضمرة عند الغذامي)**، النادي الأدبي بحائل، بيروت، لبنان، ط1، 2010، ص:127، 128.

الغذامي ذلك في كتابه "النقد الثقافي"، فهو يرى أن النسق المضمر نسق ثقافي وتاريخي يتكون عبر البنية الثقافية والحضارية.»[1]

بمعنى أن للنسق أساليب خفية مضمرة في الخطاب تؤثر على المتلقي إما بالسلب أو الإيجاب في توجيه سلوكه وتفكيره.

كما يحتل النسق عنصر الصدارة في مجال المعرفة والحضارة والثقافة والسياسة والمجتمع، إذ يتصف النسق من حيث كونه نظامًا بالمخاتلة واستثمار الجمالي والمجازي ليمرر مضمراته التي لا تُستشف إلا بالقراءة الفاحصة.[2]

ويصب في الاتجاه نفسه تعريف "محمد ولد عبدي" للنسق على أنه « **مؤلفٌ من جملة عناصر أو أجزاء تترابط فيما بينها وتتعالق لتكوّن تنظيمًا هادفًا إلى غاية.»**[3]

وعليه فالنسق في أبسط معانيه يقوم على أساس التعالق أو التساند ليشكل في الأخير قيمة هادفة.

ويتسم النسق بجملة من الخصائص الواجب توافرها فيه لإمكانية وصفه بالنسقية:

- حدود قارة نسبيا يمكن التعرف إليه بها.
- بنية داخلية مكونة من عدة عناصر منتظمة وتميل على نفسها.
- نسق خطاب عضوي منفتح ومتغير ومتحول ويتجه نحو التعقيد الذاتي غير أنه يحافظ مع ذلك على تأثير ثابت أو ثوابت[4]

مما سبق نستنتج أن النسق مجموعة وحدات تؤثر بعضها في بعض فهي مترابطة ومتعالقة فيما بينها.

---

[1] محمد بن لافي اللويش، **جدل الجمالي والفكري (قراءة في نظرية الأنساق المضمرة)**، ص: 128.

[2] ينظر: يوسف محمود عليمات، **النقد النسقي**، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2015، ص: 9.

[3] محمد ولد عبدي، **السياق والأنساق في الثقافة الموريطانية**، دار نينوى، دمشق، سوريا، (د.ط)، 2009، ص:13.

[4] ينظر: محمد مفتاح، **التشابه والاختلاف**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1996، ص: 48.

كما أن للنسق عناصر مترابطة مع بعضها ترابطًا كليًّا، وهذا ما يشير أن النسق لا يعمل في ذهن المتلقي إلَّا من خلال الشفرات التي تعمل على تحريكه، وتبعا لذلك اقترح الغذامي بإضافة عنصر سابع لعناصر الاتصال عند جاكوبسون وهو النسق.[1]

ويمكن توضيح ذلك في المخطط الآتي: [2]

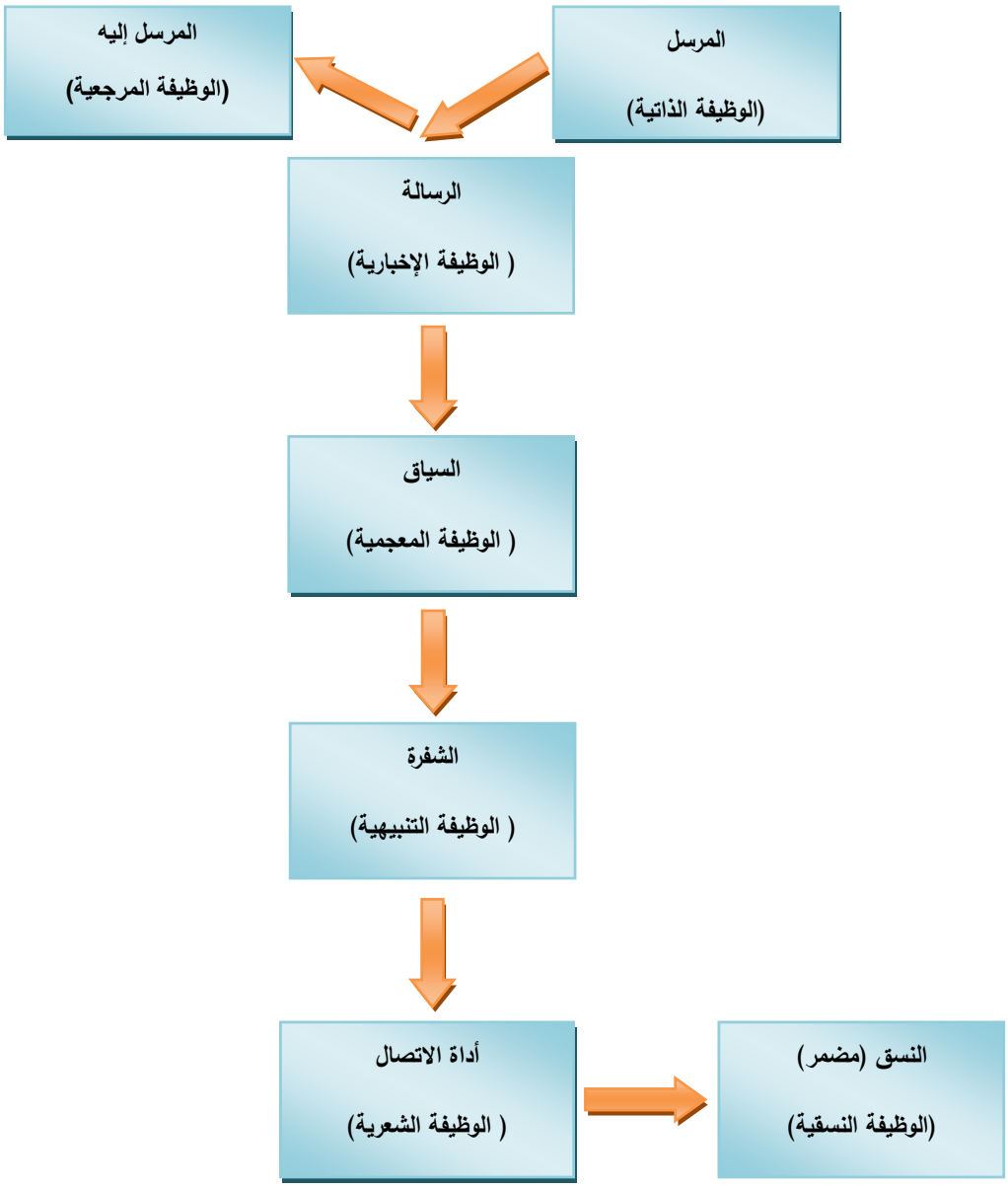

[1] ينظر: محمد بن لافي اللويش، **جدل الجمالّي والفكرّي (قراءة في نظرية الأنساق المضمرة عند الغذامي)**، ص:129.

[2] ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

«إن الوظيفة النسقية تمكن الباحث أو الناقد من توجيه نظره نحو الأبعاد النسقية التي تتحكم بنا وبخطاباتنا، مع الإبقاء على ما ألفنا وجوده وتعودنا على توقعه في النصوص من قيم جمالية وقيم دلالية.»[1] أي إن الناقد الثقافي أصبح يتعامل مع النص على أنَّه وثيقة ثقافية لا على أنَّه نصًا أدبيًا يتضمن خصائص جمالية بلاغية.

2 ـ الثقافة

لا مشاحة من الاعتراف بأن الثقافة حظيت بمنزلة مرموقة في الآداب العالميّة، نظرًا لأهميتها في حياة الفرد والجماعة كونها جزءًا لا يتجزأ من هذه الحياة. ويعد تحديد المفاهيم وضبطها مدخلًا أساسيا لكل بحث أو دراسة علميّة، إذ لا تستقيم هذه الدراسة إلاّ بتحديد المصطلح الأساس الذي تقوم عليه، ولفهمه لابد من الرجوع إلى أمهات المعاجم.

2 ـ 1 المفهوم اللغوي:

فقد ورد مفهوم الثقافة في قاموس تاج العروس للزبيدي بمعنى: **«ثَقُفَ، كَكَرُمَ، فَرِحَ ثَقْفًا بالفتح على غير قياس وثَقَفًا، مُحَرَّكَةً: مَصْدَرُ ثَقِفَ، بالكَسْرِ، وثَقَافَةً مَصْدَرُ ثَقُفَ بالضَّمِّ: صَارَ حَاذِقًا خَفِيفًا فَطِنًا فَهِمًا فَهو ثِقْفٌ، كحِبْرٍ، وكَتِفٍ، وثَاقَفَهُ مُثَاقَفَةً وثِقَافًا: فَثَقِفَهُ، كَنَصرَهُ: غَالَبَهُ فَغَلَبَهُ في الحِذْقِ. ويقال: ثَقِفَ الشَّيْءَ [وهو] سُرْعَةُ التَّعَلُّمِ، يُقَال: ثَقِفْتُ العِلْمَ والصِّناعَةَ في أوْحَى مُدَّةٍ، أَسْرَعْتُ أَخْذَهُ.»** [2]

كما ورد في القاموس المحيط للفيروز أبادي لفظ الثقافة في باب الفاء، فصل الثاء **«ثَقُفَ، ككَرُمَ وفَرِحَ، ثَقْفًا وثَقَفًا وثقافَةٌ: صار حاذِقًا خَفِيْفًا فَطِنًا وامرأة ثَقَافُ، كسحابٍ: فَطِنَةٌ.»**[3] ومنه قوله تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ ﴿١٩١﴾﴾[4]

---

[1] عبد الرحمان النوايتي، **السرد والأنساق الثقافية في الكتابة الروائية**، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2016، ص:90.

[2] الزبيدي، **تاج العروس من جواهر القاموس**، تح: عبد الفتّاح الحلو، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، (د.ط)، 1986، ج23، مادة (ث . ق . ف)، ص:60 . 63.

[3] الفيروز أبادي، **قاموس المحيط**، مادة (ث ـ ق . ف)، ص: 795.

[4] البقرة /191.

وجاءت في معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب في باب الثَّاء أن الثقافة تعني: «**ترقية العقل والأخلاق وتنمية الذَّوق السليم في الأدب والفنون الجميلة.**»[1]

من خلال جملة التعاريف اللغوية حول الثقافة في المعاجم العربية نلحظ أن جلها تصب في معنى واحد الذي هو الفطنة والذكاء والحذق وسرعة التعلم.

2 . 2 المفهوم الاصطلاحي:

لقد تعددت الدوال لمدلول واحد الذي هو الثقافة بعدّها الركن الأساس والمنطلق الرئيس الذي قام عليه مشروع النقد الثقافي، لما تكتنفه ـ الثقافة ـ من مكانة هامة في الساحة النقدية والأدبية على السواء، حيث نجدها «**تمثل قطبًا حيويًا في تشكيل المرجعيات الثقافية والمعرفية والجمالية والتاريخية، فهي كما يشير غرينبلات (Grenoblatt) تجسد نظام صياغة الذات من خلال الإشارات النسقية.**»[2] وعليه فالثقافة حاملة لخلفيات جمالية ومعرفية وتاريخية تساعد على إعادة بناء الذات عن طريق جملة من الرموز النسقية الموجودة داخل المجتمع.

لقد عملت الدراسات الثقافية **(Cultural studies)** منذ بروز سماتها الأولى في بداية الستينات إلى فحص العلاقة بين الكتابة والمجتمع في بنى النص، وهو ما أسماه ريتشارد ويلسون **(Richard wilson)** "تنصيص التاريخ"، واهتمت هاته الدراسات في الوقت نفسه باستجواب منظومة القيم والأعراف والمرجعيات السائدة في الثقافة الغربية وتوصلت في الأخير إلى أن الثقافة ذلك الكل المعقد تتأسس في سيرورتها النسقية على قانون الجذب والإقصاء، لذا فإن عملية الفهم والإدراك لهذا القانون الضدّي يستوجب تنشيطًا لملكة النشاط العقلي بفعل احتواء تاريخ الثقافة أو ثقافة التاريخ من قِبل المحلل الثقافي، حتى يتمكن من كشف ممارسات الأنساق الثقافية ونقدها.[3]

---

[1] مجدي وهبة وكامل المهندس، **معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب**، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1984، ص:129.

[2] يوسف عليمات، **النسق الثقافي، (قراءة ثقافية في أنساق الشعر العربي القديم)**، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2009 ص:04.

[3] المرجع نفسه، ص:16.

ومنه نخلص إلى أن الثقافة تعمل على تنشيط أو تفعيل الملكة الذهنية للمحلل الثقافي حتى يتسنى له كشف ذلك المخبوء وراء الخطاب الجمالي وغير الجمالي، ونقده نقدًا ثقافيًا.

كما أن للثقافة قيمة بارزة في علم الاجتماع، كونها عملت على تمييز الجنس البشري عن غيره من الأجناس الأخرى، وقد حاول كثير من العلماء الاجتماعيين منذ القرن الماضي ومازالوا يحاولون الوصول إلى تعريف مضبوط للثقافة، فعلي سيد الصاوي عرَّف الثقافة نقلا عن إدوارد تايلور **(Edward Tylor)** في كتابه "الثقافة البدائية" «**على أنَّها كل مركب يشتمل على المعرفة والمعتقدات والفنون والأخلاق والقانون والعرف، وغير ذلك من الإمكانيات أو العادات التي يكتسبها الإنسان بعدّه عضوًا في المجتمع.**»[1]

فالثقافة حسب رأي تايلور تأخذ جانبًا غير مادي يتمثل في المعرفة والمعتقدات والأخلاق الناتجة عن التفاعل داخل المجتمع.

وحسب رأي روبرت بيرستد **(Bersted Roberte)** أحد علماء الاجتماع المحدثين في أوائل الستينات بقوله: « **إن الثقافة هي ذلك الكل المركب الذي يتألف من كل ما نفكر فيه أو نقوم بعمله أو نتملكه كأعضاء في مجتمع.**»[2] والجدير بالملاحظة هنا أن الثقافة عبارة عن شيء مركب يتمثل في الجانب الفكري والسلوكي والمادي.

إن الثقافة حسب نظريات التحليل الثقافي المعاصر يمكن دراستها كنسق من الأفعال أو الممارسات والعلاقات، والسلع والصناعات وما إليها، أو يمكن دراستها على أنَّها نسق من الرموز والمعاني؛ أي كنسق من العلامات بحيث تعد ثقافة شعب ما مجموعة من النصوص التي يمكن قراءتها وتفسيرها وهنا قد يكون الرجوع إلى أعمال رولان بارت **(Roland Barthes)** أمرًا ضروريًا في هذا المقام بالذات.[3]

---

[1] مجموعة من الكتاب، **نظرية الثقافة**، تر: علي سيد الصاوي، عالم المعرفة، الكويت، (د.ط)، 1978، ص: 9 .

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3] ينظر: بتيرل بيرجر، ماري روجلاس وآخرون، **التحليل الثقافي**، تر: فاروق أحمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، (د.ط)، 2009، ص: 11.

فعلماء الأنثروبولوجيا يرون «**أن الثقافة تشير إلى نموذج المعتقدات وقيمها، وهو ما يعكس في الحرف اليدوية والأغراض والمؤسسات، التي تمررها من جيل إلى جيل.**»[1]

فهم ينظرون للثقافة على أنها عنصر مكتسب، يكتسبه الأشخاص داخل المجتمع جيل عن جيل وتختلف هذه الثقافات تبعا لاختلاف المجتمعات والديانات والحضارات وهذا ما يؤكده قول كونراد فيليب كوتاك (**Conrad phillip kottak**) «**إن الثقافة تضم سلوكاً محكومًا بالقواعد ومشاركًا ويقوم على الرمز ويتم تعلمه وكذلك معتقدات يتم نقلها عبر الحضارات.**»[2]

ومنه نستنتج أن كلمة ثقافة عند علماء الأنثروبولوجيا تعني أن لكل مجتمع ثقافته الخاصة به، يكتسبها عن طريق التعلم، كما أن لكل ثقافة خصائصها التي تميزها عن غيرها من الثقافات.

أما الثقافة في الفكر العربي فتتأسس على الذات والفطرة والقيم الإيجابية واحترام خصوصية ثقافات المجتمعات الأخرى، في حين نجد الثقافة في الفكر الإسلامي تركز على العقل بالدرجة الأولى، فلو أن الخطاب العقلاني كان هو السيد في هذا المقام ما انتشرت وعمّت مثل هذه السلوكات الدخيلة على التركيبة الثقافية العربية فهذا ما نلحظه في بعض التلفزيونات العربية كبرنامج ستار أكاديمي، الأمر الذي أصبح يهدد ثقافة الأمة ووجودها.[3]

وعليه، فالثقافة في الفكر العربي تقوم على مبدأ احترام ثقافات الأمم الأخرى، بينما تهتم الثقافة في الفكر الإسلامي بالخطاب العقلاني من أجل النهوض بالثقافة العربية حتى لا تقع تحت تأثير الثقافات الأخرى.

---

[1] أرثر أيزابرجر، **النقد الثقافي (تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية)**، تر: وفاء إبراهيم، رمضان بسطويس، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، ط1، 2003، ص: 191.

[2] المرجع نفسه، ص: 192.

[3] ينظر: محمد بن لافي اللويش، **جدل الجماليّ والفكريّ (قراءة في نظرية الأنساق المضمرة عند الغذامي)**، ص: 124.

3 ـ الأنساق الثقافية

قبل الحديث عن مدلول الأنساق الثقافية في الدراسات العربية، لابد من الرجوع إلى الإرهاصات الغربية الأولى التي كان لها الفضل في بلورة هذا المصطلح.

وأول من أشار لمفهوم النسق فرديناند دي سوسير في بحثه اللساني ـ دروس في علم اللغة العام ـ على أنّه مرادفٌ للسان « **بوصف اللسان نسقًا من العلامات.**»[1] أي إن اللسان والنسق يُعدان من جنسٍ واحدٍ، كما أن العلامة حسب رأي سوسير لا تكون خارج زاوية النسق اللغوي، ثم انتقل مصطلح النسق إلى الدراسات الثقافية مع كلود ليفي شتراوس **(Levi Strauss)** في بحثه (الأنثروبولوجيا البنيوية 1958) الذي يرى فيه أن اللغة والثقافة من طبيعة واحدة، ثم بعدها توصل إيكو **(Eco)** إلى إيجاد مصطلح الوحدة الثقافية **(Cultural unit)**، التي تعني أن أي شيء يمكن أن يعرّف ثقافيًا ونظر إيكو إلى الوحدة الثقافية بعدها وحدة دلالية سيميائية **(Semantic unit)** مدمجة في نظام، وقد تتعدى هذا النظام إلى التفاعل بين ثقافتين، أما لوتمان **(Lotman)**، فقد اتفق مع إيكو في مقاربة مصطلح نسق ثقافيًا، والنسق عنده أضحى معبرًا على تاريخ الثقافة والفكر الاجتماعي بصورة عامة.[2]

وبناءً عليه يتضح مفهوم النسق الثقافي بعدّه من الدعائم الهامة التي قام عليها مشروع النقد الثقافي عند فنسنت ليتش **(Vincent B.leitch)**، فالأنساق الثقافية هي عبارة عن «**نظم (Systems) بعضها كامن وبعضها ظاهر في أية ثقافة من الثقافات وتتفاعل في هذه النظم العلاقات المجازية عن التذكير والتأنيث الثقافيين، والعرق والدين والأعراف الاجتماعية، والقيود السياسية والتقاليد الأدبية، والطبقة، وعلاقة السلطة التي تحدد المواقع الفاعلة للذوات.**»[3]

---

[1] ماري نوال غاري بريور، **المصطلحات المفاتيح في اللسانيات**، ص: 106.

[2] ينظر: ضياء الكعبي، **السرد العربي القديم(الأنساق الثقافية وإشكاليات التأويل)**، دار الفارس للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2005، ص: 21.

[3] المرجع نفسه، ص: 22.

ومن خلال هذا المفهوم يتضح أن الأنساق الثقافية تمارس لعبة الخفاء والتجلي في حركة تفاعلية تتجاوز العلائق الإنسانية والمظاهر الثقافية إلى الحدود المجازية تحت تأثير مركزية سلطوية، لأن الأنساق الثقافية لا تعتمد فقط على الأدب المركزي لكشف تلك المضمرات التي تختفي خلف الجمالي وإنّما تتعدى ذلك إلى الاهتمام بالأدب الهامشي أيضا.

وإذا ما انتقلنا إلى الساحة العربية نجد ثلة من النقاد العرب الذين تبنوا مشروع النقد الثقافي، وعلى رأسهم الناقد السعودي عبد الله الغذامي الذي عرّف الأنساق الثقافية في كتابه النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية على أنّها: «**أنساق تاريخية أزلية وراسخة ولها الغلبة دائما، وعلامتها هي اندفاع الجمهور إلى استهلاك المنتوج الثقافي المنطوي على هذا النوع من الأنساق، وقد يكون ذلك في الأغاني أو في الأزياء أو الحكايات والأمثال مثلما هو في الأشعار والإشاعات والنكت. كل هذه وسائل وحيل بلاغية جمالية تعتمد المجاز والتورية وينطوي تحتها نسق ثقافي ثاوٍ في المضمر ونحن نستقبله لتوافقه السري وتواطئه مع نسق قديم منغرس فينا.**»[1]

من هذا المنطلق نستطيع القول إن الأنساق الثقافية تفرض نفسها على منتجي النصوص ومستهلكيها حيث عملت على كشف جل الأبعاد النسقية الكامنة وراء الخطابات الشعبية التي صُنفت ضمن الأدب الهامشي.

والخلاصة التي يمكن الخروج بها من خلال هذا التوصيف النظري لمفهوم الأنساق الثقافية، أنّها أنساق تواضع عليها المجتمع، أنساق ذات طبيعة زئبقية داخل النصوص.

4 ـ النقد الثقافي

يعد النقد الثقافي من أهم التوجهات النقدية التي عرفها العالم الغربي لما بعد الحداثة ظهر كرد فعل على النظريات التي ترى الأدب ظاهرة فنية شكلية، فتوجهه دراسة نصوص من منظور ثقافي يكشف الأنساق المتسترة خلف بناء لغوي ليكسر بذلك حاجز النقد الأدبي وقيوده الجمالية.

---

[1] عبد الله الغذامي، **النقد الثقافي (قراءة في الأنساق الثقافية العربية)**، ص: 79، 80.

وفيما يخص المصطلح فقد تبلورت معالمه عام 1964، حيث شرع مركز الدراسات الثقافية المعاصرة بجامعة برمنجهام **(Birming Ram)** بنشر صحيفة أوراق عمل الدراسات الثقافية، التي تناولتها وسائل الإعلام والثقافة الشعبية والمسائل الأيديولوجية والأدب.[1]

غير أنه لم يتبلور منهجيا إلا مع الناقد الأمريكي فنست ليتش حيث طرح « **مصطلح النقد الثقافي مسميًّا مشروعه النقدي بهذا الاسم تحديدًا ويجعله رديفًا لمصطلحي "لما بعد الحداثة وما بعد البنيوية"، حيث نشأ الاهتمام بالخطاب لأنه خطاب، وهذا ليس تغيرًا في مادة البحث فحسب ولكنَّه أيضا تغير في منهج التحليل يستخدم المعطيات النظرية والمنهجية في السسيولوجيا والتاريخ والسياسة والمؤسساتية دون أن يتخلى عن مناهج التحليل الأدبي النقدي.**»[2] وبذلك يؤكد ليتش في سعيه الحثيث للالتفات لمنهجية حفرية لتعرية الخطاب من خلال نقد كاشف موغل في ما وراء النص.

يسعى هذا النقد بناءً على مسلماته الفكرية وطروحاته الأيديولوجية إلى مساءلة البنى النصية بوصفها حوادث ثقافية ومن ثم استجلاء أبعادها ومضمراتها النسقية التي تبدو على وشيجة تامة بالسياقات الثقافية والظروف التاريخية التي أنتجتها.[3]

وهذه نقلة نوعية في مجال العملية النقدية، حيث نقل الاهتمام من الجمالي البحت إلى العوامل المنتجة للخطاب.

وفي إطار هذا التوجه تتجلى دعوة أصحاب النقد الثقافي الوقوف على مجموعة من الإجراءات المهمة لعل أبرزها عدم فصل النص عن الظواهر الأخرى وعدم تطويقه وحصره في دائرة الجمالية «**فإذا كان النص هو غاية الغايات في النقد الأدبي خصوصًا في مراحله الشكلانية الأخيرة كالبنيوية والتفكيك، فإن النقد الثقافي ينظر إلى النص كمادة خام، بحيث لا ينظر إليه بمعزل عن الظواهر الأخرى ولا يقرأ لذاته بل يعامل النص بوصفه حامل**

---

[1] ينظر: أرثر أيزابرجر، **النقد الثقافي (تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسة)**، ص:31.

[2] عبد الله الغذامي، **النقد الثقافي (قراءة في الأنساق الثقافية العربية)**، ص:31، 32 .

[3] ينظر: يوسف محمد عليمات، **النسق الثقافي**، ص: 165.

نسق، وهذا النسق هو الذي يسعى النقد الثقافي إلى كشفه متوسلا بالنص.»[1] وبذلك يصبح النص مجرد أداة لاكتشاف حيل الثقافة في تمرير أنساقها الخفية.

وتبعا لذلك فإن الدراسات الثقافية قامت بتحطيم سلطة النص وإلغاء مركزيته والالتفات إلى الخطاب بوصفه قيمة ثقافية ويقوم النقد الثقافي عند ليتش على ثلاث خصائص:

أ ـ لا يؤطر النقد الثقافي فعله تحت إطار التصنيف المؤسساتي للنص الجمالي، بل ينفتح في مجال عريض من الاهتمامات إلى ما هو غير محسوب في حساب المؤسسة.

ب ـ من سنن هذا النقد أن يستفيد من مناهج التحليل المعرفية مثل تأويل النصوص ودراسة الخلفية التاريخية إضافة إلى إفادته من الموقف الثقافي النقدي والتحليل المؤسساتي.

ج ـ إن الذي يميز النقد الثقافي الما بعد البنيوي هو تركيزه الجوهري على أنظمة الخطاب وأنظمة الإفصاح النصوصي، كما هي عند بارت وديريدا(**Jacques derrida**) وفوكو **(Michel foucault)**.[2]

يرتكز النقد الثقافي بناءً على هذه الخصائص في معاينته للنص بتجاوزه الجماليات والعودة إلى السياقات المحيطة بالنص المسهمة في إنتاجه والمؤثرة في توجهه.

وكانت المحاولة الأولى في عالمنا العربي التي تبنت مفهوم النقد الثقافي في معناه الحديث من قبل الناقد السعودي عبد الله الغذامي الذي كان من السباقين لتطبيق هذا المنهج على عدد من الظواهر الثقافية العربية.[3] ويحدد الغذامي مجموعة من الإجراءات المهمة والأساسية في النقد الثقافي «**...الذي بوسعنا أن نفعله هو أن نستخلص نموذجنا النظري والإجرائي مما هو أساس نقدي للمشروع الذي نزعم التصدي له وهو ينحصر في توظيف الأداة النقدية والتركيز على عملية الانتقال كونه انتقالاً نوعيًا يمس الموضوع والأداة معا.**»[4]

---

[1] محمد بن لافي اللويش، **جدل الجمالي والفكري**، ص: 132.

[2] ينظر: عبد الله الغذامي، **النقد الثقافي(قراءة في الأنساق الثقافية العربية)**، ص: 32.

[3] ينظر: ميجان الرويلي، **دليل الناقد الأدبي**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2002، ص: 309.

[4] عبد الله الغذامي، **النقد الثقافي (قراءة في الأنساق الثقافية العربية)**، ص: 62، 63.

فالنقلة الاصطلاحية التي قام بها عبد الله الغذامي تعد أولى النقلات وأهمها، تشمل ستة أساسيات اصطلاحية هي:

- **الوظيفة النسقية:** اقترح الغذامي الوظيفة النسقية كعنصر سابع استكمالا لعناصر الرسالة الستة التي جاء بها جاكوبسون، فإننا بهذا نتيح مجالا للرسالة ذاتها بأن تكون مهيأة للتفسير النسقي وبهذا تكتسب اللغة وظيفة نسقية إضافة إلى الوظائف الأخرى مما يجعلنا في وضعية نستطيع معها أن نوّجه نظرنا نحو الأبعاد النسقية التي تتحكم بنا وبخطاباتنا.[1] وهو يمثل مبدأ أساسيا للتحول النظري والإجرائي من النقد الأدبي إلى النقد ببعده الثقافي.
- **المجاز الكلي:** يقدم الغذامي مفهوما ثقافيا للمجاز للتوسيع من مجاله وتهيئته لاستعمال نقدي أكثر وعيا بالفعل النسقي وتعقيداته.[2]
- **الجملة الثقافية:** وهي البديل النوعي للجملتين الأدبية والنحوية «**وهي حصيلة المعطى النسقي في المضمر الدلالي للوظيفة النسقية في اللغة.**»[3] لذا فإن الجملة الثقافية تأخذ على عاتقها اجتياح المضامين الثقافية وما يفرز عنه من دلالات نسقية التي تحيل على المهيمن الثقافي الخارجي.
- **التورية الثقافية:** إن استعارة مصطلح التورية ونقله من علم البلاغة إلى حقل النقد الثقافي يستلزم توسيع المفهوم ليدل دلالة كلية لا تنحصر في معنيين قريب وبعيد وإنما ليدل على حال الخطاب، إذ ينطوي على بعدين، أحدهما مضمر ولا شعوري هو مضمر نسقي ثقافي لم يكتبه كاتب فرد ولكنه أنوجد عبر عمليات من التراكم والتواتر حتى صار عنصرًا نسقيا يتلبس الخطاب وللكشف عنه يتطلب أدوات خاصة تأتي التورية في مقدمتها، لكن بمعنى التورية الثقافية أي حدوث ازدواج دلالي أحد طرفيه عميق ومضمر وهو أكثر فعالية من ذلك الواعي.[4]

---

[1] عبد الله الغذامي، **النقد الثقافي (قراءة في الأنساق الثقافية العربية)**، ص: 64.

[2] المرجع نفسه، ص: 67، 68.

[3] عبد الله الغذامي وعبد النبي اصطيف، **نقد ثقافي أم نقد أدبي**، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 2004، ص: 27.

[4] ينظر: عبد الله الغذامي، **النقد الثقافي (قراءة في الأنساق الثقافية العربية)**، ص: 70، 71.

- **الدلالة النسقية:** إن العنصر النسقي الذي يقدمه الغذامي استكمالا لما جاء به جاكوبسون هو أمر فرضته الفاعلية الثقافية، لأن الدلالات اللغوية لم تعد كافية للكشف عن خبايا اللغة وهو الأمر الذي دعا إلى الانتهاء عند الدلالة النسقية بوصفها نوعًا ثالثا يضاف إلى الدلالتين الصريحة والضمنية، بالإضافة إلى أن ما جعل النقد الثقافي يستند إلى هذه الدلالة كون اللغة لا تستطيع أن توجد مستقلة بذاتها بل توجد من خلال تراكم معرفي هائل يشمل البيئة والتاريخ والحضارة.[1]
- **المؤلف المزدوج:** يرى الغذامي أن كل خطاب يترشح منه مؤلفين اثنين « **أحدهما المؤلف المعهود كالمؤلف الضمني والنموذجي والفعلي والآخر هو الثقافة ذاتها أو ما نسميه بالمؤلف المضمر.**»[2] لذا فإن النقد الثقافي ينظر للمؤلف بوصفه مؤلفا مزدوجًا من حيث أنه معهود أسهمت الثقافة في إنتاجه ووسمته بمضمراتها.

تأسيسا على ما سبق نستنتج أن النقد الثقافي سعى إلى تأسيس منهجية تحتكم للانفتاح على ما هو غير جمالي، والبحث عن ما هو موغل في الخطاب وما ينطوي عليه من أنساق مضمرة وخبايا متسترة خلف بناء لغوي بهدف كسر حاجز القيود النقدية.

---

[1] عبد الله الغذامي، **النقد الثقافي، (قراءة في الأنساق الثقافية العربية)**، ص:71.

[2] المرجع نفسه، ص: 75.

خلاصة المدخل:

من خلال ما تقدم في هذا المدخل نستطيع تسجيل أهم النقاط الواردة فيه وهي كالآتي:

- النسق في معناه اللغوي يتجسد في تنظيم الشيء وتتابعه على شاكلة واحدة.
- النسق يوصف بكونه جملة من العلاقات المترابطة والمتماسكة فيما بينها.
- دلت الثقافة في اللغة على الحذق والفطنة وسرعة التعلم وكيفية الظفر بالشيء.
- الثقافة كمكون حضاري تعمل على تفعيل الملكة الذهنية والفكرية للفرد من أجل التأقلم مع المشاكل الاجتماعية.
- تعمل الأنساق الثقافية على كشف المضمرات الموجودة في الخطابات المركزية والهامشية على السواء.
- يعد النقد الثقافي من أهم الظواهر الأدبية لما بعد الحداثة شعاره البعث إلى نقد جديد والتعامل مع النص الأدبي على أنّه نسق مضمر يعكس جملة من السياقات الثقافية.

الفصل الأول:

تجليات الأنساق الثقافية في رواية "حروف الدم"

لـ: "بشرى بوشارب"

1 ـ صورة المرأة

1 . 1 المرأة المثقفة

1 . 2 المرأة المضطهدة

1 . 3 المرأة المهاجرة

2 ـ النسق الديني

2 . 1 دفاع المسلمين عن نبيهم الكريم

2 . 2 دينا وخلقا سبيلا في التوبة

3 ـ الوجهة الأوروبية

خلاصة الفصل

1 ـ صورة المرأة

احتَّل وجود المرأة مساحة كبيرة من الاهتمام في ميادين مختلفة، انطلاقا من معطيات اجتماعية، دينية وسياسية، حيث استطاعت المرأة أن تثبت وجودها كعنصر فعال في المجتمع فهي تبقى النصف الآخر فيه الذي يدعو إلى النضال من أجل إثبات الذات والتحرر بالعلم والعمل.

فالمتتبع لوضع المرأة العربية في العصر الجاهلي يلحظ أن هناك من قام بتبجيلها واحترامها فهي كانت ملهمة الشاعر والعاشق الذي كان يحارب من أجلها «**والواقع أن جمهرة العرب كانت شديدة الغيرة على النساء تسترخص الدماء في الدفاع عنها وتمنحها الفرصة لتكون كريمة عظيمة، فالنظرة إليها والتشرف بصونها والاقتتال في حمايتها خلق عربي لا يكاد الرومان أو اليونان القدامى يعرفون شيئا عنه.**»[1] تلك التضحيات في سبيلها دليل على أن الجاهلية العربية الأولى كانت أشرف من جاهليات اليونان والرومان ولاسيما في الوضع الاجتماعي للمرأة.

هذا لا ينفي وجود نوع آخر من الرجال الذين لا ينظرون لها إلا لتدبير عمل منزلي أو «**لدوام النسل البشري، بل كانت عند بعض الطوائف في مرتبة الخادم، فنظروا إليها كالسلعة تباع وتشترى**»[2] فتلك الطوائف تقوم باستعباد المرأة وجعلها تابعة للرجل وتهميشها وسلب حقها في العيش، كما اتسمَّت تلك الفترة بمظاهر عديدة معظمها يجعل المرأة في الطبقة الدنيا، حيث كان ولي المرأة آنذاك يأخذ مهرها ولا يعطيها منه شيئا ويملك من أمرها

---

[1] محمد الغزالي وآخرون، **المرأة في الإسلام**، مطبوعات أخبار اليوم،(د.ب)، (د.ط)، (د.ت)، ص: 11. 13.

[2] المرجع نفسه، ص: 84.

كل شيء حتى حق الحياة، بل كانت بعض قبائل العرب تنظر لميلاد البنت كجالبا للحزن والخزي والعار.[1]

ولم تعرف قيمة المرأة ومنزلتها الرفيعة إلا بمجيء الدين الحنيف وسطوع نوره على أرض الظلام، حيث سخَّر لها حقوقها ورفع عنها كل المظالم التي كانت تعانيها في عصور سحيقة «**كما نادى إلى المساواة والعدل بينها وبين الرجل، وقرر لها الحقوق والواجبات والاستعدادات العليا ما كان مثار عجب ودهشة بين بعض أتباع النبي أنفسهم، فقد قرر لها أهليتها الاقتصادية وجعلها فيها صنو الرجل وقدر لها أهليتها الاجتماعية وجعل لها دورًا في إصلاح المجتمع يقوم على حراسة قيمه وتقويم انحرافاته وتزكية عقائده ومبادئه للسمو بها إلى أفضل ما يستطاع**»[2]

فالمرأة لا تقل مسؤولية عن الرجل ولا تتخلف في ذلك عنه لقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٧١﴾[3]

جاء الإسلام فأعطى المرأة حقها في الحياة وكل ما كانت تحرم منه في الماضي فرَّد لها اعتبارها وكرامتها وكل ما سلب منها في عصور الجهل كحقها في الميراث وفي المهر وفي النفقة وفي المسكن والمطعم وأعطاها سائر الحقوق كحق التعلم وحق التملك والبيع

---

[1] ينظر: بابكر رحمة الله محمد أحمد، **مكانة المرأة وواقعها قبل الإسلام مقارنة بواقعها ومكانتها في الإسلام**، مركز البحوث والدراسات الإفريقية، الخرطوم، السودان، (د.ط)، 2013، ص: 141.

[2] البهي الخولي، **الإسلام وقضايا المرأة المعاصرة**، دار القلم، الكويت، الكويت، ط4، 1984، ص: 19.

[3] التوبة /71.

والشراء بضوابط تحفظ لها كرامتها وعفافها دون امتهان أو شطط[1] فالمرأة ما دامت إنسانا فإن لها الحق في أن تحيا حياة الرجال بحقوق الرجال تنمو وتتعلم وتتضج وتتلقى كوارث الدنيا وتختبرها وتتعلم منها الحكمة والخبرة.

كما أباح لها الإسلام أن تمارس الأعمال التجارية كالبيع والشراء، وأن تكون كاتبة ومحاسبة، عاملة ووسيطة إذا أعدت نفسها لذلك بالممارسة والتعليم وخير مثال السيدة الفاضلة "خديجة بنت خويلد" أم المؤمنين كانت أشبه بوزير داخلية في بدء الدعوة الإسلامية بنشرها الأمن حول الرسول عليه الصلاة والسلام وتهدئ من روعه وتشجعه على تبليغ الدعوة.[2]

ولقد ساوى الله تعالى في الخلق بين الرجل والمرأة فخلقهما من نفس واحدة وعدل بينهما لقوله تعالى: ﴿۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴿١٨٩﴾﴾ [3] دليل على أن الله تعالى لم يفرق بين الجنسين بل نصَّ على مساواة النساء بالرجال في ميادين مختلفة، هذا كله يدل على أن الدين الحنيف أخرج المرأة من محنة الاستعباد والظلم التي عانت منها في عصور سابقة وأضحت الآن بمنزلة أرقى وأرفع مما كانت عليه، كما حررها من جميع القيود التي كانت تُكبِّل حريتها.

لذا كانت المرأة المسلمة حريصة كل الحرص على تطبيق ما حثَّ عليه الإسلام لأنه حفظ وصان كرامتها وبيَّن منزلتها ومنحها الحرية لقوله عز وجل: ﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ

---

[1] ينظر: محمد الغزالي وآخرون، **المرأة في الإسلام**، ص: 84.

[2] ينظر: منصور الرفاعي عبيد، **المرأة ماضيها وحاضرها**، أوراق شرقية، بيروت، لبنان، ط1، 2000، ص: 193.

[3] الأعراف/ 189.

وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾[1]

فمن حق المرأة أن تحيا الحياة الحرة المسؤولة « **ولا تمكن مسؤولية بلا حرية حتى تجد الكرامة الإنسانية وحتى تعرف الآفاق الاجتماعية في الخير والشرف والخدمة والفهم**»[2] فمن حق المرأة في التطور وقصر حياتها على البيت هو إلغاء لإرادتها كما هو تعطيل لتطورها.

أما حديثا فقد أصبح للمرأة دورٌ فعالٌ في المجتمع الذي أعطاها كل الحقوق، وكانت لها الريادة في عملية التقدم والتحرر في المجتمع جنبا مع الرجل.

استطاعت المرأة أن تثبت وجودها في الساحة الفنية والأدبية وأن تكون محط أنظار لدى كثير من الأدباء والشعراء بوصفها عنصرًا مكملا في الحياة«**حيث أسالت الكثير من الحبر لدى هؤلاء المبدعين.**»[3] فحضورها كان قويًّا نظرا للدور الفعال الذي تؤديه داخل المجتمع العربي.

المرأة في الرواية تحتل نصيبا أوفى وأوفر، فهي تبقى العنصر البارز الذي يتوسل به الروائي لطرح قضاياه والتعبير عنها، وهو في هذه الحالة لا يكون هدف الكاتب تصوير المرأة تصويرًا حسيًّا فحسب، بل يتخذها رمزًا لشيء آخر، كأن يرمز لها إلى الحرية أو الوطن.[4]

---

[1] الإسراء/ 70.

[2] سلامة موسى، **المرأة ليست لعبة الرجل**، كلمات عربية، القاهرة، مصر، (د.ط)، (د.س)، ص: 52.

[3] مصطفى فاسي، **دراسات في الرواية الجزائرية**، دار القصبة للنشر، حيدرة، الجزائر، (د.ط)، 2000، ص: 12.

[4] ينظر: صالح مفقودة، **المرأة في الرواية الجزائرية**، دار الشروق للطباعة والنشر والتوزيع، بسكرة، الجزائر، ط2، 2009، ص: 09.

فهو بذلك يتخذ من المرأة سبيلا ينتهجه لإيصال فكرته المراد التعبير عنها بوصفها من أهم القضايا التي تعبر عن إثبات الذات ككيان اجتماعي حر مستقل.

نخلص في الأخير إلى أن المرأة أثبتت وجودها وبصمتها الخاصة وكيانها في المجتمع فهي النصف الآخر فيه.

1 ـ 1 المرأة المثقفة:

استحوذ نموذج المرأة المثقفة على مساحة كبيرة في كتابات الروائيين العرب بعدِّ المثقف ذلك «**الشخص الذي يتمكن أو يستطيع أن يكوِّن رؤية خاصة به من خلال ما يحيط به، حتى يتمكن من التعبير عن رؤيته والألوان والكلمات واللغات والتعابير الأخرى.**»[1] ، فالمثقف نجده دائما لديه بعد نظر في مناقشة بعض القضايا سواءً كانت سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية من أجل الخروج بنتائج منطقية قابلة للتحليل والمناقشة.

إن المثقف لا يشكل طبقة مستقلة قائمة بذاتها، بل يتغلغل وينحل في الطبقات المكونة للمجتمع بوصفه القوة التي تنظم وتتحدث بوضوح وعلانية في إطار المجال العام متناولا مطامح وأهداف الجماعات الرئيسة في المجتمع.[2]

ومن هذا المنطلق نستطيع القول إن المثقف هو لسان حال أمته «**من حيث هو إنسان علم ومعرفة وموقف حضري عام تجاه عصره ومجتمعه، إنسان شديد التأثر بالبيئة الاجتماعية المحيطة به كما أنَّه في الوقت نفسه إنسان شديد التأثير في وسطه**

---

[1] عامر محمد حسين وإياد محمد حسين، **مفهوم المثقف وتمثلاته في النص المسرحي العراقي (مسرحية أبي الطيب المتنبي أنموذجا)**، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، مج7، ع3، 2017، ص: 113.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص: 116، 117.

الاجتماعي وفي محيط عالمه وعصره. وذلك لما له من قوى فكرية خاصة ومواهب روحية ونفسية متميزة.»[1]

لقد تجسدت صورة المرأة المثقفة في رواية "حروف الدم" في شخصية "سلمى" بطلة الرواية، تنتمي "سلمى" إلى أسرة مثقفة «**جعلتها تواصل دراستها وتتفوق فيها بما يناسب مستوى عائلتها وثقافة والديها، ناهيك عن التربية والتعامل الذين كانا مألوفين في الأسرة.»**[2]

ففي هذا المقطع أرادت الروائية أن تبرز لنا الدوافع التي جعلت من شخصية "سلمى" امرأة مثقفة واعية قادرة على خدمة ذاتها والتجاوب مع مجتمعها من غير الاعتماد على الآخرين، فالإنسان عندما يولد ويترعرع في محيط ثقافي جيد يستطيع أن يكوِّن ذاته حتى يصبح قادرًا على قيادة مجتمعه في المستقبل.

ثم تصور لنا الروائية رحيل "سلمى" مع عائلتها إلى الكويت بعد أن تحصل والدها على منصب شغل كأستاذ جامعي في الجامعة الكويتية، وكانت هنا نقطة البداية بالنسبة "لسلمى" خاصة وأنَّها أول عام لها في الجامعة بعد تحصلها على شهادة الثانوية العامة تقول: «**هكذا تمكنت سلمى من بدء حياة دراسية أولها كان سهلاً بربط علاقات تتمنى أن تكون بسيطة وعفوية في نطاق واسع يجمع بين الثقافة والحضارة وحتى التسلية والمزاح لكن في إطار التواضع.»**[3]

من خلال هذا المقطع من الرواية نستشف جملة من الخصائص التي لابد أن يتميز بها الإنسان المثقف بعدِّه ركنًا فعالًا داخل المجتمع، فالبساطة والعفوية والتواضع من سمات

---

[1] عبد السلام محمد الشاذلي، **شخصية المثقف في الرواية العربية الحديثة**، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1985، ص:8.

[2] بشرى بوشارب، **حروف الدم**، منشورات فاصلة، قسنطينة، الجزائر، ط1، 2015، ص: 9.

[3] المصدر نفسه، ص : 14.

المرأة المثقفة، خاصة وأن التواضع سمة الإنسان بصفة عامة والمثقف بصفة خاصة فثقافة دون تواضع ليست ثقافة، حتى أن التواضع ذكر في الحديث النبوي الشريف «**من تواضع للَّه رفعه.**»[1] فهناك نخبة مثقفة ولكن تغيب فيها سمة التواضع وهذا ما نلحظه في الرواية عند والدة "سلمى" "حنان" رغم أنَّها امرأة مثقفة متعلمة إلاّ أن تصرفاتها كانت تنم عن التكبر وعدم التواضع عكس شخصية "سلمى"

كما ركزت الكاتبة أيضا على جانب معين هو حب التطلع واكتشاف الحضارات وجسدت ذلك في شخصية "سلمى" التي كان شغفها شديدًا في مجال الاكتشاف خاصة اكتشاف الحضارة الكويتية تقول لها "خلود" «**هذه يا سلمى أبراج الكويت المستوحاة من مرشة ماء الورد العربية، وهذا برج المواصلات وبرج التحرير.**»[2]

في هذا المقتطف من الرواية حاولت الروائية إبراز الجانب الاستكشافي وحب التطلع لبطلة الرواية "سلمى" التي تسعى دائمًا لمعرفة جل الأماكن الأثرية الموجودة في الكويت واكتشاف تاريخ قيام الحضارة الكويتية، كما صورت أيضا الروائية شخصية "خلود" بمثابة الشخص المرشد أو الواهب للمعلومات عن الحضارة الكويتية "لسلمى" تقول: «**وهذا يا عزيزتي يدعى قصر السيف العتيق وقد دشن عام 1896 وزين بفسيفساء من التراث الإسلامي الرائع.**»[3]

ضف إلى ذلك أن من صفات المرأة المثقفة الاستقامة والتهذيب، وقد جسدت الروائية هذه الصفة في شخصيَّة "سلمى" تقول: «**فسلمى الفتاة المؤدبة الخجولة المتواضعة**

---

[1] محمد ناصر الدين الألباني، **صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)**، مج1، إشراف: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط3، 1988، (عن أبي هريرة الصحيحة 2328: حم، م)، ص: 1061.

[2] الرواية، ص: 14.

[3] المصدر نفسه، ص: 15.

والمثقفة لطيفة في تعبيرها ولبقة في ردها»[1] وهنا أرادت الروائية أن تبرز لنا صورة المرأة المثقفة التي تتقن فن النقاش وتتفنن في حواراتها مع الغير خاصة مع "صالح" الشاب المثقف الذي تقدم لخطبتها بعد أن لاحظ فيها صورة المرأة المثقفة المتحضرة في تعبيرها و«**جوابها دائمًا قدر السؤال»**[2]

وهذا ما لفت انتباهه ففي كثير من حواراتها «**تتجسد لغة المرأة وتبرز فيها الذات الأنثوية بوصفها ذاتًا قادرة على الفعل والمواجهة ومن ثم النجاح والتفوق.»**[3]

لقد عملت الروائية على تجسيد صورة المرأة المثقفة التي ظلت تكافح من أجل إثبات ذاتها باحثة عن حريتها في واقع مليء بالتناقضات، فثقافة المرء لا تتوقف على تلك الشهادات العليا وعلى مستوى تعليمي عالي لأن العلم «**لا يضفي على الفرد صفة المثقف بصورة آلية، فالعلم ماهو إلا اكتساب موضوعي ولا يشكل ثقافة في حد ذاته، إنّه يصبح ثقافة بالمعنى الشامل إذا توفر لدى المتعلم الوعي الاجتماعي، ذلك العامل الذاتي الذي من خلاله فقط يصبح الفرد مثقفًا، حتى لو لم يعرف القراءة والكتابة، ومن دونه يبقى أميًّا، حتى لو كان طبيبا أو أستاذًا جامعيًا.»**[4]

فالثقافة التي نتحدث عنها هنا ـ داخل الرواية ـ تجسدت في الجانب الإنساني المتمثل في المعاملة الطيبة التي كانت توجهها "سلمى" لزوجها حتى تكون بذلك خير سندٍ له، ففي الثقافة مدلولات سلوكية متحضرة وهذا ناتج عن تراكمات علميَّة تستطيع من خلالها المرأة التواصل والتعامل مع جميع الفئات العمرية للمجتمع، هذا الأمر الذي دفع بـ"صالح" للزواج منها تقول الروائية: «**كانت سلمى تساعد صالح كثيرًا باقتراحاتها ومحاولة إيجاد بعض**

---

[1] الرواية، ص:25.

[2] المصدر نفسه، ص: 22.

[3] عبد الله الغذامي، **المرأة واللغة**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1996، ص: 85.

[4] هشام شرابي، **مقدمات لدراسة المجتمع العربي**، الدار المتحدة للنشر، بيروت، لبنان، ط3، 1984، ص: 129، 130.

الحلول للعراقيل التي تواجهه من خلال مساعدتها له في العمل باعتبارها درست الهندسة كما أنَّها كانت توفر له كل ما يحتاجه من راحة وجو ملائم للعمل.»[1]

فهذا المقطع يدل على أهمية ودور المثقف القيادي في المجتمع حيث يسعى دائمًا للمشاركة في الحياة العملية وبنائها وتنظيمها.

وفي ضوء ما سبق نستنتج الصورة الحقيقية للمرأة المثقفة التي فرضت ذاتها داخل مجتمع سلطوي يترأسه الجنس الذكوري، فالمرأة دائمًا نجدها تناضل من أجل بناء مجتمع لا تسوده الضبابية، مجتمع مثقف دائم التطلع لغدٍ أفضل.

1 ـ 2 المرأة المضطهدة:

مازالت المرأة تعاني كثيرًا من الذل والاضطهاد من قبل الرجل حتى في عصرنا الحالي، كون «**المرأة أفصح الأمثلة على وضعية القهر بكل أوجهها وديناميتها وواقعها في المجتمع المتخلف في وضعيتها تتجمع كل تناقضات ذلك المجتمع وفي سلوكها وتوجهها وتظهر كل السلبيات والقهر والعنف ضدَّها.**»[2] وعليه، «**فالمرأة بنظر المجتمع الذكوري يجب أن تظل صامتة وخاضعة وخانعة وإلّا فسينزل بها العقاب.**»[3] ومن هذا المنطلق أصبح الرجل هو المركز والمرأة هي الهامش في رؤية المجتمع غير الحضاري، وقد تجلت صورة المرأة المضطهدة في الرواية في شخصية "سلمى"، فبعد زواجها من "صالح" أصبحت تعاني كثيرًا من الآلام والمآسي بسبب حرب جرت بين العراق والكويت وهنا بدأ "صالح" يوجه اتهاماته "لسلمى" ويصيح عليها بأعلى صوته ويحملها سبب حرب لا ناقة لها

---

[1] الرواية، ص:42، 43 .

[2] محمد حسن غانم، **مدخل إلى سيكولوجية المرأة (قضايا واستشكالات نفسية ـ اجتماعية ـ دينية ـ إقتصادية)**، إيتراك للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2010، ص: 171.

[3] نبيلة فايزة السيوف، **قضايا المرأة بين الصمت والكلام في الرواية النسوية العربية**، رسالة مقدمة استكمالا لمتطلبات درجة الماجيستير في دراسات المرأة، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، اليمن، 2002، ص: 73.

فيها ولا جمل يقول لها: «**كيف ونحن الذين آويناكم وحميناكم تنهبون بلادنا وتأسرون شبابنا وتقولين أننا أمة واحدة.**»[1]

يدل هذا المقطع من الرواية على العنف اللفظي الذي ما فتئ يوجهه "صالح" "لسلمى"، ورغم هذا ظلت "سلمى" تحافظ على استقرار أسرتها ولا تبالي بذلك الكلام العنيف ولكن لا حياة لمن تنادي فقد مارس عليها أبشع طرق التعذيب وظل يحتقرها ولا يعترف بها ككائن شرعي له كيانه وشخصيته، تقول الروائية: «**أصبح صالح يفرض قوانينه الشرعية على سلمى انتقاما منها وأخذا بثأر بلده.**»[2] فقد تحول إلى وحش كاسر يحطم كل شيء أمامه وهنا أيقنت "سلمى" أنَّها بداية للآلام والمآسي، وأول شيء فرضه عليها هو منعها من الذهاب للعمل وحرمانها من رؤية أعز رفيقة لها "خلود"، وكانت المصيبة العظمى حينما «**قرر سلبها أسامة من غير سابق إنذار** »[3] اعتقادًا منه أنَّه سيحميه من أم جميع أهلها مجرمون.

من خلال هذين المقطعين نلحظ سلطة الرجل على ذلك المخلوق الضعيف بطبعه الذي هو المرأة، رغم أن الإسلام أعطى لها جميع حقوقها ونهانا عن إهانتها وضربها من غير سبب إلاَّ أن الرجل مهما بلغ من الثقافة والتحضر لكنَّه مازال ينظر للمرأة تلك النظرة الدونية الجاهلية التي تنقص من شأنها وتجعلها عاهة على المجتمع، حاولت "سلمى" فرض ذاتها لكنَّه « **بقوته رماها أرضًا فارتطمت بالحائط غائبة عن الوعي.**»[4]

إن هذا المقطع من الرواية يوحي بتلك العزلة التي أضحت تعيشها "سلمى" بعد أن أغلق عليها زوجها الباب وتركها مرميةً على الأرض، وفي هذا المقام بالذات يقول واسيني

---

[1] الرواية، ص: 53.

[2] المصدر نفسه، ص: 54.

[3] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[4] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

الأعرج في روايته مي ليالي إيزيس كُوبيا، ثلاثمائة ليلة وليلة في جحيم العصفورية عن حالة مي التي زج بها في مستشفى الأمراض العقلية بالعصفورية وأصبحت تعيش عزلة كبيرة داخل مستشفى المجانين إن: «**أخطرُ شيء أن تشعر بأنك وحيدٌ في مدار يضيق من حولك ويشدُّ على عنقك بعنف، ويزيد تصلُّبًا، ليمسّ جسدك ولسانك لدرجة أن تتحمَّل الموت.**»[1] فهذا المقتطف من رواية إيزيس كُوبيا نلحظ فيه نقطة اشتراك بين حالة "مي" وحالة "سلمى" من حيث العزلة، "فسلمى" أصبحت تعيش عزلتين عزلة أهلها الذين فقدتهم الواحد تلو الآخر وعزلة فلذة كبدها "أسامة" الذي حرمها من رؤيته وهو صغير يحتاج لرعاية أمه.

تحولت حياة "سلمى" الزهرية التي لطالما حلمت بها إلى حياة رمادية يشوبها الخوف والشك والعذاب والألم من مستقبلٍ يخبأ لها كثير من المفاجآت.

ومن الصور الأخرى للاضطهاد الذي تعرضت له "سلمى" العنف الجسدي، تقول الروائية: «**أخذ يضربها دون تمييز بين الوجه والبطن وهو يصرخ أنت طالق، طالق... حتى أغمي على سلمى تاركًا إيَّاها وكأنَّه ترك حيوانا خطيرًا أو سارقًا محترفًا.**»[2]

إن هذا المشهد يوحي بسياسة الاستبداد التي تتعرض لها المرأة في ظل مجتمع سلطوي ظالم تسوده الأنانية وحب الذات، أصبح "صالح" لا يعترف بأفكار "سلمى" وآرائها التي كان غالبًا ما يستشيرها فيها إلا أن بطلة الرواية "سلمى" حاولت المصارعة من أجل إثبات ذاتها وإنسانيتها باحثةً عن حريتها الكاملة، معبرة عن وضعها بوصفها ضحية لحرب سياسية لا دخل لها فيها تقول "سلمى": «**أرجوك أعد التفكير وانظر لحياتنا كيف أصبحت**

---

[1] واسيني الأعرج، **مَيْ ليالي إيزيس كُوبيا، ثلاثمائة ليلة وليلة في جحيم العصفورية**، بردية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط2، 2018، ص:210 .

[2] الرواية، ص: 61.

لقد اشتقت كثيرًا لأسامة مرّت ثلاثة أشهر ولم أره أشفق على حالتنا وأتمنى... (وعيناها تفيض بالدموع).»[1]

يوحي هذا المقطع بفقدان الذات الأنثوية للأمل في الحياة والاستسلام للآلام والأحزان التي ظلت تزيد يومًا بعد يوم من قبل ذلك الزوج الذي بات لا يعترف بها ككيان إنساني له مشاعره وأحاسيسه، فهي في نظره وسيلة من وسائله الخاصة يتحكم فيها كما يشاء له ومتى يحلو له.

وبناءً عليه نخلص إلى أن المرأة عانت كثيرًا من الاضطهاد والتسلط داخل مجتمع ذكوري فرض نفسه، ونتيجة لذلك الاضطهاد حاولت المرأة إثبات ذاتها داخل هذا المجتمع الظالم عن طريق الكتابة، تدافع فيها عن كينونتها ووجودها وكرامتها.

1 ـ 3 المرأة المهاجرة:

يعود موضوع الهجرة في الأدب العربي إلى أدب الرحلات الذي كان أدبًا أنثروبولوجيا كون أن هذا المصطلح ـ الهجرة ـ يُعدّ «**نقلة في حياة الإنسان يخرج بها عن النطاق الاعتيادي لجميع الروابط الاجتماعية والعائلية وغير ذلك... وما يترتب عليها من آثار نفسيّة، إضافة إلى أنها فرصة يبحث فيها عن وضع سياسي أو اجتماعي أفضل خدمة لمبادئه وقضيته، إذ ربما يستطيع التحرك في دائرة أوسع وأكثر حرية.**»[2] وقد تجلى هذا الموضوع بصورة مكثفة في النثر والشعر معًا، وأكثر الروايات التي تناولت هذا الموضوع كانت أغلبها تعاني شّخصياتها من اضطهاد ومعاناة داخل هذا المجتمع فتلجأ تلك الشخصية للهجرة باحثةً عن الأمن والاستقرار، فالمرأة على سبيل المثال باتت ضحية ظروف اجتماعية

---

[1] الرواية، ص: 60.

[2] محمد حسين فضل الله، **تحديات المهجر بين الأصالة والمعاصرة**، دار الملاك للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2000، ص:5 . 7.

أو سياسية «**لا تجد فيها حلاً مرضيًا لها في هذا الواقع سوى أن تهرب أو تتعايش مع القهر والحرمان**»[1] وبطلة هذه الرواية حاولت الهجرة من أجل إثبات ذاتها وحريتها «**رافضة للذل والهوان خاصة وأن الله يريد للمؤمن أن يكون عزيزا في جميع أحواله.**»[2]

رحلت "سلمى" إلى الدنمارك هاربة من سلطة ذكورية ظالمة مارست عليها أبشع طرق التعذيب، سواءً كان ماديًا أو معنويًا، فبعد تلك المعاناة التي عاشتها "سلمى" أو بالأخرى أذاقها إياها "صالح" خاصة بعدما حرمها من ابنها "أسامة" هنا قررت "خلود" تخليصها من رجل ظالم، فجهزَّت لها جواز السفر، تقول الروائية: «**رحلت سلمى بعد أن تركتها خلود أو تركت هي سلمى لتذهب إلى أرضٍ أخرى وقد كُتب عليها الرحيل من أرضٍ لأرضٍ كالرحالة ولكن أي رحالة هروب من القهر والظلم وحسرة نار تحرق كل خلية من جسدها وقد تركت الابن الوحيد ومن بقي لها لتشم فيه رائحة كل من فقدتهم وداعًا سلمى وسامحيني آخر ما قالته خلود لسلمى وهي تنظر إليها في سماء الوطن لتذهب إلى سماء بلد آخر... وحياة أخرى !.**»[3]

يدل هذا المقطع من الرواية على هروب الذات الأنثوية باحثةً على برّ الآمان نتيجة الاضطهاد والحرمان الذي عاشته في الكويت من قبل الزوج، فهي لم تهاجر لا حبًا في الخارج ولا طمعًا في أي شيء، بل هاجرت نتيجة الظروف القاسية التي تعرضت لها الأمر الذي جعل الأنا المهاجرة تعيش حالة حصار نفسي تولد عنه انفصال روحي وجسدي كان نتيجته فقدان الابن.

---

[1] حسين مناصرة، **المرأة وعلاقتها بالآخر في الرواية العربية الفلسطينية**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2002، ص: 362.

[2] محمد حسين فضل الله، **الهجرة والاغتراب**، مؤسسة العارف للمطبوعات، دمشق، سوريا، (د.ط)، 1999، ص: 12.

[3] الرواية، ص: 66.

يقول "أسامة": «**كانت تنام وحضنها فارغ أجبرها الزمن ووالدي على فراق وحيدها**»[1] لقد أصبحت الأنا تعيش غربة مزدوجة غربة الوطن وفراق الأرض زيادة عليه فقدان الابن فالإنسان عندما يهاجر يصبح يحن إلى أرضه ووطنه، وهذا هو قمة الألم الذي يعيشه الفرد عندما يكون خارج وطنه.

هاجرت"سلمى" بصفة دائمة إلى الدنمارك، ولكن عندما رحلت حافظت على هويتها العربية ولم تنغمس في ثقافة الآخر، لأن هجرتها لم تكن كباقي الهجرات الآخر بهدف تحقيق آمال كان الإنسان يطمح إليها في بلده ولم يحققها فأراد الوجهة الأوروبية لتحقيقها، لكن "سلمى" كانت غير ذلك رحلت نتيجة ضغوطات عائلية بينها وبين زوجها فحافظت على سر رحيلها إلى هناك «**كانت إنسانة كتومة جدًّا على حياتها الشخصيّة(...) فطريقة كلامها وملامحها والحزن الذي كان ظاهرًا على وجهها كان يؤكد أنها امرأة قوية، صبورة وتحمّلت الكثير**»[2]

يصور لنا المقطع صورة المرأة العربية الأصيلة في الخارج رغم مآسيها إلا أنها لم تتماه أو تندمج في ثقافة الآخر- الغربي - ، بل بقيت محافظة على ذاتها الذات العروبية.

إن الأنا الأنثوية بعدّها عنصرًا مُهمًّا داخل هذا المجتمع بعدما فرضت نفسها في الكتابة النسوية لم تعد قادرة على تحمل هذا الاستعباد وهذا التهميش من طرف الآخر - الرجل - فتمردت وكسرت كل هذه القيود والحواجز وحملت نفسها مضطرة ومجبرة لا مخيّرة إلى بلاد المهجر دون سابق إشعار، تبحث عن الآمان وهذا ما نلمسه في المقطع الآتي «**عندما جاءت سلمى أول مرة إلى الدنمارك كانت خجولة وملامح الذل والقهر واضحة**

---

[1] الرواية، ص: 90.

[2] المصدر نفسه، ص: 138، 139.

على وجهها(...) لمسنا فيها الكرامة والكبرياء وكانت دائمًا تحاول أن تكون ضيفة خفيفة الظل.»[1]

إن الملاحظة المهمة هنا هي عزة النفس التي يتمتع بها الإنسان العربي بصفة عامة حتى إذا هاجر وعاش في الخارج يبقى يحافظ على كرامته مهما أراد الآخر إهانته ورفضه.

وفي الأخير أغلقت "سلمى" كل الأبواب على الماضي ورمت مفاتيحها في بحر عميق وحاولت إعادة بناء ذاتها وحياتها من جديد حتى تستطيع نسيان كل المعاناة إلا باب واحد لم تستطع إغلاقه وبقي عالقا في ذكراها هو ابنها "أسامة" وبعدها تزوجت في الدنمارك تقول السيدة "روز" أخت زوج "سلمى": «**تمت مراسيم الزواج بشكل بسيط وبعد فترة قصيرة استطاعت تلك الشابة أن تخلق مكانة مميزة بيننا لطيبة قلبها ورزانتها كما أنها أدخلت البهجة إلى حياة أخي التي فقدها منذ سنين على الرغم من أن الحزن كان الرفيق الوحيد لها وكل هذا كان مرسوما في عينيها.**»[2]

وتأسيسا على ما سبق نستطيع القول إن هجرة المرأة إلى الغرب في كثير من الأحيان تكون من أجل التحرر وفرض الذات بعيدا عن الاضطهاد بهدف التأقلم مع مجتمعٍ جديدٍ لكن في إطار المحافظة على المبادئ الإسلامية والأخلاقية.

وخلاصة عن صورة المرأة في الرواية نلحظ أن الروائية أرادت ضم صوتها لصوت الروائيات اللواتي شغلتهن قضية المرأة العربية بصفة عامة التي عانت كثيرًا من القهر والتسلط من قبل المجتمع البطريركي* الظالم؛ الذي يسعى دائما لتهميش المرأة والحط من قيمتها مهما بلغت من العلم والثقافة، ومع ظهور الكتابة النسوية أصبح للمرأة رأي وشخصية

---

[1] الرواية، ص: 120.

[2] المصدر نفسه، ص: 198.

*__البطريركي__ هو نظام اجتماعي يمتلك فيه الرجل السلطة على المرأة في المجتمع 10: 22 01/04/2019 https://genderation.xyz/wiki/.

وكيان وذات منفردة في الكتابة تعبر فيها عن بنات جنسها وترفع من قيمتهن، حيث أصبحت تعي معنى التحرر والمساواة وحاولت كسر تبعيتها لسلطة الرجل عن طريق الكتابة.

2 ـ النسق الديني:

لقد ظل الدين العنصر الحضاري الفاعل من بين عناصر الحضارة الأخرى، فالدين ظاهرة ملازمة للإنسان حيثما وجد، وهو من أكثر الأمور تعقيدا وتشعبا، تتشابك فيه معانٍ عديدة تختلف من دين لآخر، فقد عكف الباحثون والمفكرون على محاولة تفسيره وفهمه ورصد أبعاده فهو القانون الوحيد الذي يضمن استمرار الحياة وبقاءها.

ومن أشهر التعريفات وأكثرها تداولا لمصطلح "الدين" ما نسب للتهانوي في قوله: **«هو وضع إلهي سائق لذوي العقول باختيارهم إياه إلى الصلاح في الحال والفلاح في المال وهذا يشمل العقائد والأعمال ويطلق على كل ملة نبي وقد يخص الإسلام كما في قوله تعالى:**﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ﴾ **ويضاف إلى عز وجل لصدوره عنه وإلى النبي لظهوره منه وإلى الأمة لتدينهم وانقيادهم له.»**[1]

كما ورد في معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية لأحمد زكي بأنه مجموعة من المعتقدات تؤمن بها جماعة ما وتكون نظامًا متصلاً يتعلق في الغالب بعالم ما بعد الطبيعة وممارسة شعائر وطقوس مقدسة والإيمان في قوة روحية عليا وقد تكون هذه القوة متكررة أو أحادية.[2]

---

[1] محمد علي التهانوي، **كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم**، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 1996، ص: 814.

[2] ينظر: أحمد زكي بدوي، **معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية**، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1982، ص: 353.

فالدين هو تلك العلاقة الروحية بين الخالق والعابد والخضوع والاعتقاد والإيمان بتلك القوى الغيبية.

2 . 1 دفاع المسلمين عن نبيهم الكريم:

حملت رواية "حروف الدم" بين ثناياها نسقا دينيا واضحًا جسدته الكاتبة بمظاهر وزوايا مختلفة، عبرت من خلالها عن وجهة نظرها وعن الرسالة المراد إيصالها والتي سنحاول عرضها والتطرق إليها فيما يأتي.

من بين القضايا التي طرحتها الروائية في روايتها هاته؛ حادثة تشويه صورة الرسول صلى الله عليه وسلم والإساءة إليه بصور ساخرة وذلك من قبل أقلام وأنامل حاقدة تحاول النيل من أطهر الخلق وسيد الأنبياء والمرسلين، فبعد أن نشر أحد الرسامين رسوما مسيئة للرسول عليه الصلاة والسلام في إحدى الصحف الدنماركية عام 2005، ثم أعادت مجموعة من الصحف الأخرى نشر هذه الرسوم في إساءة سافرة ومتعمدة وواضحة لدين الإسلام صور آثمة ووقحة وقاحة الكفر وأهله[1]، فاهتز ضمير كل مسلم وفجر كل الغضب كأنها عاصفة حولت شوارع الدول كلها إلى مظاهرات ورفع اللافتات فلا يمكن السكوت وغض البصر عن ذلك مادام في القلب عرق ينبض نحن إذ ندافع عن رسولنا عليه الصلاة والسلام نحمي بذلك ديننا وعقيدتنا ونؤكد شيئا من حبنا لرسولنا الكريم.

هذا ما جعل الروائية ودفعها للخوض في هذه الحادثة والتطرق لها وتوظيفها بين طيات الرواية وجعل شخصياتها تجسد رأيها دفاعا عن خير الأنام، بوصفها من المواضيع التي مست وزعزعت ضمير كل عربي مسلم.

---

[1] ينظر: محمد بن إبراهيم السبر، **دفاعا عن الرسول صلى الله عليه وسلم، 19: 17 25/03/2019 www .saaid.**

وتجسدت تلك الغيرة عن الرسول في شخصيات محورية وأخرى مساعدة تقول الكاتبة «**عام 2005 في الثلاثين من شهر سبتمبر استيقظت الدنمارك على الصورة التي لم يتوقع أحد ظهورها، صورة زعزعت العالم بأسره والإسلامي أكثر وفجرت كل الغضب، حين أسيء للرسول صلى الله عليه وسلم برسم كاريكاتوري مستهزئين بسيد الخلق في جريدة يولاندس بوستن الدنماركية (...) فلن تطلع شمس من الشرق ولن تغرب كعادتها وزهور لن تتفتح أبدًا بكاءً على الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم الذي سيكون الحامي الشافع لنا يوم البعث.**»[1] وفي ذلك إشارة إلى أن الكاتبة ضمت صوتها إلى من لم يعجبهم الأمر فكانت شخصية "أسامة" ورفيقه "صالح" من الشخصيات التي أثارت غضبها تلك الفاجعة حيث كانا مثالين مشرفين للشباب المسلم الذي يرمز لحبه ووفائه وإخلاصه لدينه ورسوله الكريم، وتقول أيضا: «**حينها بدأت الاتصالات بين الشباب الأربعة كباقي المسلمين وككل غيور على الرسول صلى الله عليه وسلم وسيرته.**»[2]

فقد رصدت رواية "حروف الدم" فترة صعبة من حياة المسلمين تمثلت في هذه الحادثة الشنيعة لتصدر فيها الكاتبة موقف كل مسلم من تلك الرسوم لتظهر صورة المسلم الغيور في شخصية "أسامة" فهي من الشخصيات المحورية التي انبنت عليها أحداث الرواية والتي غالبا ما كانت تسرد على لسانها، يقول "أسامة" والغضب يملأ تعابير وجهه: «**هل يكفي أن ننشر الخبر ونبقى ننتظر ونتأسف يجب أن نتحرك ونفعل شيئا هل رأيتم تلك المقالة كتبت وعُنونت "بوجه محمد" مرفقا باثني عشرة صورة للرسول.** »[3] وفي ذلك نبرة واضحة استعدادًا للخروج والتظاهر وكسر جدار الصمت وخرق كل ممنوع مادام الأمر وصل إلى حد الإساءة لرسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم.

---

[1] الرواية، ص: 174.

[2] المصدر نفسه، الصفحة نفسها .

[3] المصدر نفسه، ص: 175.

وهنا نجد الروائية في موضع آخر تصف لنا ما يجري بين أوساط المسلمين القاطنين بالدنمارك «**كانت أيام وكأنها بركان انفجر بعد صمت طويل جر الذل والقهر ليتحرك الجبل أخيرًا مخرجًا كل غضبه بعد أن شوهت صورة المختار الهادي مرت أيام وكأنها العاصفة وتحولت شوارع الدول كلها إلى مظاهرات وكل الأعين مثبتة فيما سيحدث أو بالأحرى في ردود الفعل.**»[1] "أسامة" وأصدقاؤه لم يتحملوا تلك العاصفة وتلك الإهانة ولم يقبلوا على أنفسهم السكوت والهوان وتجاهل أمر كهذا «**وبعدها بأسبوع وبالضبط يوم الرابع عشر من شهر أكتوبر قام ثلاث آلاف وخمس مئة شخص بمظاهرة سلمية أمام مقر صحيفة يولاندس بوستن في كوبنهاجن، وكان ضمنهم"أسامة" و "صالح" وبرفقتها "لجين" و "سارة" اللتان لم تفوتا فرصة الالتحاق بهما.**»[2]

أرادت الكاتبة أن تثبت سلمية المسلمين واتحادهم نساءً ورجالا في وقت محنتهم والتعامل مع الوضع بكل عقلانية رغم غضبهم وغيضهم الكبير فبالرغم من بشاعة الخبر ووقاحة الصور كان المسلمين قد تظاهروا بكل سلمية وتحضرٍ، لكن في الوقت نفسه اتفق معظم رؤوساء الدول العربية على مقاطعة المنتجات الدنماركية وغلق سفارتها أو سحب سفيرها كما فعلت سوريا.

مرّت أيام والوضع يزداد تأزمًا وقهرًا وشعورًا بالذل والإحباط وكأن الشمس لم تشرق يومًا، وكان كل ما يشغل بالهم هو كيف السبيل لاسترجاع حق وكرامة النبي من هذا العداء السافر والتهكم المكشوف.

اتصل "صالح" بأهل "أسامة" للاطمئنان عليه ومعاتبته حق الصداقة والعشرة التي بينهما يقول "صالح" "للجين":« **ـ صالح: وأسامة كيف هو ؟ منذ أسبوع لم أسمع صوته**

---

[1] الرواية، ص: 175.

[2] المصدر نفسه، ص: 176.

أعرف أنه يتردد إليكم دائما الخائن، أما أنا لا يرفع حتى السماعة للاطمئنان علي وأنا غارق هنا بين الملفات.

ـ لجين (مستغربة): أسامة ؟! لم أره منذ ستة أيام ظننت أنه معك منهمك في المكتب.»[1] فرد عليها صالح وهو في حيرة «**لا لم أره ولم يتصل بي!** »[2] ومنذ تلك اللحظة وأهل "أسامة" وصديقه "صالح" في رحلة بحث عنه بين منزله وموطن عمله وكل ما كان له صلة "بأسامة".

ازداد الشك وكثرت الأسئلة وبدأت الأفكار السيئة تطرح على كل منهم فهذه أول مرة يختفي فيها "أسامة" دون إخبار أحد « **ورغم جميع محاولات "لجين" و"سارة" في طرق الباب ومناداتهم لأسامة والاتصال به لكن لا أحد يجيب عندها اتصلت لجين بصالح وأخبرته بأنه لا يوجد أحد وأن في الأمر خطب ما، ونبهته أن يحضر معه مفاتيح المنزل، لأنه يملك نسخة منها وهنا زاد قلق صالح، دخل الجميع إلى المنزل فوجدوه على حاله مرتبا نظيفا لا يوجد فيه أحد ولكن السؤال أين ذهب كل هذه الفترة دون أن يخبر أحدًا.»**[3]

لم يعد للصبر مكان فالأيام تمر ولا جديد يذكر عن "أسامة" وبدأ اليأس يدخل شيئا فشيئا قلوب كل هؤلاء تقول الكاتبة: « **والأمل يختفي مع اختفاء أسامة وأصبح كل شيء لا قيمة له وليس له معنى، صالح ينتقل من مدينة لمدينة يبحث عن أسامة.»**[4]

يتسم "أسامة" بأنه تلك الشخصية التي كان قليل حظها في الدنيا، تظهر فرحا وابتسامة ومرحا وتخفي حزنا وقهرا لا تتحمله جبال ألم فراق وأي فراق ـ فقدان الأم ـ عاش أسامة بعيدًا عن أمه طول حياته والذي كان يحمل أملاً في إيجادها لكنه قطع وضاع بمجرد

---

[1] الرواية ، ص: 177.

[2] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3] المصدر نفسه، ص: 178.

[4] المصدر نفسه، ص: 179.

تأكده من خبر موت أمه عند ذهابه للدنمارك والبحث عنها. و"صالح" في حديثه مع "أحمد" ـ أخ أسامة ـ :«**فالحزن لا يفارقه رغم ابتسامته الكاذبة وفرحته المزيفة عند سماعه لخبر خطبة عزة التي زادت من همومه وأحبطته وأصبح إنسانًا يائسا لا يرى أو لا يريد أن يرى الأمل ولو من زاوية صغيرة فقرر البقاء هنا في الدنمارك كعقوبة حكم بها على نفسه ونفذَّها وبذلك يكون القاضي والجلاد.**»[1]

قرر الأهل والأصدقاء البحث من جديد عن "أسامة" بعد غيابه لأكثر من شهر اتصل شخص غريب "بصالح" وأخبره بأن لديه خبر سار سيفرحه ويفرح أهله وخاصة أمه التي ربته بعد رحيل والديه، وكانت المفاجأة عثوره على "أسامة"، تحاور الطرفان وسرد ذلك الشخص الغريب لصالح عن قصة تعارفه مع "أسامة" والمكان الذي التقيا فيه ـ المسجد ـ والمفاجأة الأكبر هو مرض "أسامة" وتعرضه لإصابات خطيرة في جسمه ولكن ما سبب ذلك؟.

ثم تورد الكاتبة "بشرى بوشارب" مشهد تعرض أسامة للعنف من قبل شرطة الدنمارك أثناء تواجده في المسيرة السلمية «**وكعادته أسامة جاء للصلاة فوجد حشدًا من الشباب الغيور على دينه ورسوله والغضب يملأ أعينهم فاتفقنا بعد صلاة العصر أن نتجمهر للقيام من جديد بمظاهرات سلمية (...)، خرجنا إلى الشارع ورفعنا اللافتات لمعاقبة من أساء لنبينا المختار صلى الله عليه وسلم.**»[2]

وتورد الكاتبة أيضا على لسان "محمد" «**كانت مسيرة متواضعة فقد كنا حوالي الثلاثين شابا (...) تطوعًا منا لإطفاء الغضب الذي كان يعترينا (...) ضممنا اليد باليد وبدأنا نهتف بطريقة سلمية، لكن مع مرور الوقت بدأت الشرطة في ممارسة العنف ضد المتظاهرين، حينها بدأت أبحث عن أسامة، فوجدت شرطي يمسكه والآخر يضربه بالعصا**

---

[1] الرواية، ص: 182.

[2] المصدر نفسه، ص: 188.

على ظهره ودون أن أعي ما أفعل أخذت أضغط على رقبة الشرطي (...) وساعدت أسامة على الوقوف (...) نهض الشرطي من جديد يركض بكل قوته وضرب أسامة على رأسه بالقضيب فسقط كجذع مكسور.»[1] ثم حمل "أسامة" على ظهره هاربين حيث كان في حالة خطيرة، أسعفوه واتصلنا بعدها بطبيب وهو صديق لي ومن ذلك اليوم وهو في غيبوبة «**لكن كان من المستحيل أن نأخذه إلى المستشفى والمخاطرة بحياته خاصة إذا توفي ذلك الشرطي فأكيد أنهم سيبحثون عن أسامة (...) وبعد أيام استيقظ أسامة من غيبوبته واستطاع التكلم وأعطاني عنوان مكتبك.**»[2] تلك هي قصة "أسامة" الشاب الذي لم يتردد لحظة بأن يضحي بنفسه من أجل دفاعه عن النبي ولو كلفه ذلك عمر، نسي "أسامة" همومه وغربته وقهره وحياته والتفت للتظاهر وسط مجموعة من الغيورين على دينهم فمسؤولية الدفاع عن النبي عليه الصلاة والسلام من أعظم الواجبات التي تقع على عاتق كل مسلم فلا يجوز لأحد أن يسمح بالإساءة إليه أو إهانته بأي شكل.

جسدت الكاتبة من خلال شخصيات الرواية وخاصة شخصية البطل "أسامة" رمز المسلم الغيور على دينه ونبيه الكريم، كما صورت لنا جانبا مهما من صفات المسلم أو الإسلام بصفة عامة، فبالرغم من الغضب والقهر الذي تملكهم والشعور بالإهانة إلا أنهم دافعو بسلمية وتحضر، لأن الإسلام دين حق وسلام وإخاء لا دين عنف وتجريح، وأن ما أوصى به رسولنا عليه الصلاة والسلام التحلي بالأخلاق الحسنة والمعاملة الطيبة مع الغير أي مقابلة السيئة بالحسنة، بحيث يصبح المسلم سفيرًا للرسالة الإسلامية أمام الناس وخاصة لهؤلاء المسيئين، وهذا ما هدفت الكاتبة لإيصاله وإثباته، فمن خلال شخصية أسامة ورفقائه واتحادهم استطاعت أن تصور لنا تضامن المسلمين الأقلية في بلد المسيئين، وتقوية عزيمة القارئ وغرس روح الغيرة على دينه، كما كانت نقطة هامة وهادفة لتنفي تلك الصور الخاطئة

---

[1] الرواية ، ص: 189.

[2] المصدر نفسه، ص: 189، 190.

وتؤكد لمن نعتوه بدين الإرهاب بأنه دين حق وسلام وتبرز اتحادهم في مقاطعة كل ما له صلة بالدنمارك، فلا شيء سيحط من قيمة المسلمين فتلك صورة أبلغ وأوصل لدين الإسلام الحق.

2 ـ 2 دينا وخلقا سبيلا في التوبة:

إن أهم ما يميز الإنسان المسلم صورة تعامله مع الله وإخوانه في الدين ومع غيرهم فإن أحسن أرضى ربه ورضي عن نفسه وأعطى صورة رائعة للآخرين عن هذا الدين فكأنه بلسان الحال وليس بلسان المقال إلى دينه دعوة أبلغ وأوصل إلى القلب والعقل معًا.[1]

وقد لفت إلى انعكاس الصورة السلوكية الرائعة وتأثيرها في انتشار هذا الدين في بعض المناطق التي لم يصلها الفتح الإسلامي، إذ دخل في هذا الدين الحنيف شعوبًا بكاملها لمّا رأوا القدوة الحسنة مرتسمة خلقا حميدًا ينير طريقه لنفسه بمصباحه، فيرى الآخرون ذلك النور ويبصرون به، وبناء على ذلك كان الإقبال سريعا دون دوافع سوى القدوة الحسنة فرب صفة واحدة مما يأمر به الدين تترجم حية على يد مسلم صالح يكون لها أثر لا يمكن مقارنته بنتائج الوعظ المباشرة.[2]

فالتاريخ شاهدٌ أن الإسلام لم يُكره أحدا على ترك دينه وإجباره به «**لأن الإسلام دين العقل والفطرة لا يقبل من أحد أن يدخله مكرها لأن النفس بصفة عامة تنفر من الكلام الذي تتصور أن للناطق له مصلحة من ذلك.**»[3] لذا حرص الإسلام على أن يكون المسلم متمسكا بأخلاقه الحسنة وأن يكون حريصا في معاملاته وعلاقاته التي هي أول ما يرى من المسلم ومن خلالها يحكم له أو عليه.

---

[1] ينظر: خالد الخراز، **صورة المسلم**، جريدة الأنباء، 03: 13 /04/2019 09. www.alanbaa.com.

[2] المرجع نفسه.

[3] عبد الله بن إبراهيم اللحيدان، **سماحة الإسلام في معاملة غير المسلمين**، www.hamlatelsakina.com 7 /03/2019 10 :15

نجد داخل المتن الروائي عديدًا من مظاهر المسلم الخلوق وتبرز أكثر في شخصية "أسامة"، فهو شخص أرغمته الظروف بأن يغادر بلاده الكويت ويتجه إلى الدنمارك للبحث عن أمه "سلمى" التي لم يرها ولو مرة في حياته، ولو نتمعن في قصة "أسامة" نجد أن مهمته الأولى والأخيرة في سفره هذا هي البحث عن أمه والالتقاء بها، لكن الظروف والأقدار شاءت أن تكون له مهمة أخرى أسمى، مهمة يكسب فيها ثوابا وأجرًا عظيمًا.

عندما تعرف "أسامة" على "ريتشارد" أثناء رحلة البحث هذه، تكونت بينهما صداقة وأصبح "ريتشارد" الهدية التي بعثها الله "لأسامة" في غربته، قضيا فترة لا بأس بها مع بعض يشاركان همومهما وأوجاعهما لبعض، وخاصة أوجاع "أسامة" التي كانت أصعب من النار التي تحرق الجسد، فقد كانت نفسيته محطمة متألمة فاقدة للأمل يقول "أسامة": «**نار تحرق كل خلية من روحي يا ريتشارد وليس من جسمي فحسب والأكثر من هذا أنني خسرت أعز الناس وتركتهم ورائي لا أدري ما العمل أظن أنني سأبقى هنا أعيش الغربة والعذاب ثمنا لما اقترفه والدي رحمه الله بأمي.**»[1] هكذا توالت الأيام و"أسامة" و"ريتشارد" يعيشان يوما بيوم وينتظران خبرًا جديدًا يفرح قلب أسامة.

خلال تلك الأيام لاحظ "ريتشارد" تصرفات "أسامة" وحسن سلوكه والتزامه بدينه، رأى فيه روح الإنسانية والإخاء، خوفه وشوقه لعائلته واحترامه لغيره لجوءه لله ودعاءه في أغلب الأحيان هذا ما زاد إعجابه به وتعلقه بما يفعل « **خلال هذه الأشهر تعلمت الكثير منك ولاحظت أشياء وأشياء، كنت صامتا أراقب لم أفهم حنانك وشوقك لعائلتك وهذا ما نفتقده نحن هنا، عطفك على المحتاجين صلاتك ودعاؤك، ذهابك للمسجد، وقراءتك للقرآن.**»[2] حينها طلب من أسامة أن يلقنه كل تعاليم الإسلام ومبادئه وأحكامه بأدق تفاصيله «**أرجو أن**

---

[1] الرواية، ص: 137.

[2] المصدر نفسه، ص: 140.

تلقنني كل هذه التعاليم من صلاة وغير ذلك من الأمور الدينية التي تخص الإسلام»[1] وكأن الله جعل "أسامة" نورًا وهداية "لريتشارد" ويكون سببًا في اعتناقه لدين الإسلام لم يصدق "أسامة" ما سمعه كانت بمثابة صدمة مفاجئة لم تكن في البال ولا في الحسبان وأيقن أن الله يضع صدفا وأهدافًا أخرى ليتعلمها "أسامة"، حيث كانت فرحته أكبر من كل همومه وآلامه لينسى بها كل جرح وحزن.

حرصت الروائية "بشرى بوشارب" على بيان ومناقشة قضية الحفاظ على الأخلاق والثبات على الدين داخل المجتمعات الغربية التي تغري كل من يأتي إليها وتبهره بجمالها الخارجي لينسى بذلك كل ما يحمله من مبادئ وقيم وينصهر في ثقافتها المنحلة، فهي بذلك تهدف لإبراز صورة المسلم الملتزم بدينه وحسن خلقه وخاصة تعامله مع غير المسلم، وهذا ما حث عليه الإسلام، فالسماحة واليسر مع الغير شأن من شؤون الحياة في العبادات والمعاملات مع المسلمين وغير المسلمين، وسماحة المسلم في تعامله مع غير المسلمين أحد أهم القضايا التي أثارتها الكاتبة داخل الرواية، فمن خلال شخصية أسامة استطاعت أن تصور جانبا عظيما من الإسلام في واقعيته وعالميته وعن مدى تأثير المسلم على غيره بطريقة سلسة غاية في الاحترام وفي إطار الرحمة والإخاء ومعاشرة الآخر بحسن نية، ففي ذلك قدوة حسنة للغير وهذه سنة الله في خلقه «**فقد رأى أن لا يؤمن أهل الأرض كلهم وله الحكمة التامة في ذلك والحجة البالغة.**»[2]

يقول سبحانه وتعالى:﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ٩٩﴾[3] فلقد بنى الله الإسلام على التسامح في علاقاته

---

[1] الرواية، ص: 141.

[2] عبد الله بن إبراهيم اللحيدان، **سماحة الإسلام في معاملة غير المسلمين**، www.hamlatelsakina.com 7 /03/2019 10 :20

[3] يونس /99.

مع الآخرين حيث يكون المسلم حسن الخلق رقيق الجانب، لين القول، وهذا ما هدفت الكاتبة إلى تصويره وتجسيده داخل الرواية بحيث تجعل من هذه الشخصية ـ أسامة ـ قدوة حسنة للإنسان المسلم الذي مثَّل دينه ومبادئه أحسن تمثيل في بلاد الغرب، كل ذلك كان بطريقة عفوية وغير مقصودة، لكن الله شاء أن يكون "أسامة" سببا في إدخال "ريتشارد" للإسلام ويتعرف على هذا الدين الذي انبهر به بالإضافة أنه طلب منه أن يغير اسمه، فاقترح عليه "أسامة" اسم والده "صالح" فقبل "ريتشارد" بكل صدر رحب.

فالمعاملة الحسنة تترجم صورة المسلم الصالح ويكون لها الأثر الذي لا يمكن مقارنته بنصائح الوعظ، تقول الكاتبة: «**وبدأ أسامة في تعليمه مبادئ الإسلام والمسلمين وعاداتهم وحياتهم، هذا هو بيت المسلمين بيتنا كلنا هنا نصلي ونجتمع ونستطيع أن نعلن إسلامنا وتغير حياتك وتعيش في ظله وأنت عابد لرب العباد والأكوان الله لا إله إلا هو.**»[1] وهكذا تعرف "ريتشارد" على مبادئ الإسلام بعد أن أخبره "أسامة" كثيرًا عن تاريخ دينه والمسلمين ورسوله الكريم ما زاد من تعلقه بالإسلام من خلال التعرف على كل هذه التفاصيل.

جاءت الأيام لتحكي فرحةً ويدخل حزن "أسامة" في سبات، فللقدر أحكامه وبذلك نسي ما فات عليه من أيام صعبة وهموم ونسي كل جرح كبّل قلبه، وفي ذلك رسالة أخرى وهي كلما عملت خيرا وتصرفت مع غيرك بحسن خلق وبنيّة طيّبة كلما أزاح الله عن قلبك همًا وبأسًا مهما كانت درجة صعوبته.

كما تجسدت تلك الصورة ـ صورة المسلم ـ في شخصية "محمد"، ظهرت تلك الشخصية في الفصل الأخير من الرواية؛ أي يمكن تصنيفها ضمن الشخصيات الثانوية لكن هذا لا يمنع من أن تكون قد أدت دورًا هامًا في تغيير مجرى الأحداث وتحريكها، فقد عمدت

---

[1] الرواية، ص: 141.

الكاتبة "بشرى بوشارب" على عدم إهمال الشخصيات الثانوية واعطاءها حقها ولو كان دورها بسيطًا.

اختارت الروائية شخصية "محمد" لتجسد هي الأخرى مثال المسلم الخلوق الملتزم والمتزن بدينه والذي لم تهتز مبادئه وأخلاقه عند مكوثه في بلاد الأجانب، والملاحظ في هذه الشخصية أنها عبرت عن نفسها وحكت عن حياتها وسبب قدومها للدنمارك بلسانها في أغلب المقاطع.

"محمد" شاب ذو أصل جزائري، أتم دراسته وقرر السفر للدنمارك لإتمام تخصصه في جراحة القلب، يقول: «**أولا أقدم لك نفسي سيد صالح أنا محمد طبيب أقيم هنا منذ خمس سنوات جئت لإتمام تخصصي في جراحة القلب، أقيم عند عمي الذي يسكن هنا منذ زمن طويل أكثر من عشرين سنة**»[1] لكن "محمد" اصطدم بالواقع الذي كان صعبا وسهلا في الوقت نفسه، فمن زاوية كانت ظروفه المعيشية ملائمة ومتاحة على عكس زملائه المغتربين الذين جاءوا للغرض نفسه، رغم ذلك اقترح على عمه أن يجد له عملا في متجره، فقد قرر الاعتماد على ذاته وأن يكون معيل نفسه رغم يسر حال عمه، أما من جهة أخرى فقد واجه "محمد" صعوبة في غربته هذه، مجتمع آخر وتقاليد أخرى لم يستوعبها، لكن السبيل الوحيد الذي يجد فيه راحته ومتعته هو الصلاة التي تهون عليه كل الصعوبات. "محمد" مخاطبا "صالح" «**الشيء الوحيد الذي أجد فيه متعتي هو الصلاة في مسجد قريب من الحي الذي يسكن فيه أسامة.**»[2]

نلحظ من خلال هذا المقطع التزام "محمد" بدينه وصلاته رغم اغترابه عن بلده واحتكاكه بثقافة الآخر، فنادرًا ما تجد تلك الصورة مطبقة في بلاد الأجانب وقليلا ما تجد

---

[1] الرواية، ص: 185.

[2] المصدر نفسه، ص: 187.

التزامهم بدينهم، فبمجرد انبهارهم واحتكاكهم بالغرب تزول تلك الهوية وتذوب في حضارتهم التي لا تمت بصلة لدين الإسلام لذا أرادت الكاتبة أن تبين مدى ثبات "محمد" وحفاظه على أخلاقه داخل المجتمع الغربي المليء بالمغريات.

كما بيّنت الجانب الإنساني لـ"محمد" حين ساعد "أسامة" وأسعفه إلى بيته وآواه وجعله كأخ له، فالدم العربي الإسلامي تحرك بمجرد وقوع صديقه "أسامة" في أزمة، هذا ما زاد من إعجاب "ريتشارد" بهذا الدين الحنيف وتعلقه وتمسكه به، الذي تأكد من خلال "أسامة" و"محمد" أنه دين سلام واعتدال ومحبة.

3 ـ الوجهة الأوروبية:

لقد احتك أسلافنا بالحضارات الغربية القديمة واستفادوا منهم وأفادوهم ومع ذلك احتفظوا بشخصياتهم الإسلامية دون انبهار أو انهزام، ظلو ثابتين على عقائدهم وشعائرهم وأخلاقهم ولم يتخلو عن هويتهم الإسلامية على غرار ما يجري لدى شبابنا اليوم.

ما يزال مسلسل انبهار بعض ضعاف الإيمان من المسلمين بكل شاردة أو واردة جاءت من الغرب، فترى بعض الشباب والفتيات قد انبهروا بكل ما يفعله الغربيون من لباس وأكل وأفعال وغيرها لدرجة قاربت الانصياع التام والتقليد الأعمى الذي يُخالف مبادىء ديننا الحنيف وقيمنا العربية الأصيلة.[1]

فقد نظرت تلك الفئة من الشباب للغرب نظرة المثل الأعلى والنموذج السامي المتكامل الذي لا يشوبه نقصان، ما دفعها إلى أن تدعو باستماتة إلى تقليده والاقتداء به، فهي تنظر إلى الذات نظرة دونية في مقابل تمجيد الآخر وتعظيمه.[2] تلك الإشارة واضحة لانبهار

---

[1] ينظر: أمين بنسعيد، **شبابنا بين الحنين لماضي الأمة والانبهار بالحضارة الغربية**، www.nadarcity.com 20/04/2019 15 :42

[2] ينظر: المرجع نفسه.

الشباب بواجهة الغرب وقشوره ولم يدركوا خباياه ونواياه الفعلية جراء هذا التقدم، مما أدى إلى وقوعهم في هزيمة نفسية كبيرة واعتقادهم أن الخير بحذافيره فيما يأتي به الغرب حلاله وحرامه وأن الشر كله ما اعتزله الغرب حلاله وحرامه لأنهم رأوا أن الغرب غير المسلم أساس ومظهر كل تقدم وازدهار حضاري فأصبح راسخا في عقول هؤلاء المهزومين نفسيا وثقافيا وكل ما أتى منه دليل على التمدن والتقدم.[1]

كذلك نظر بعض المنبهرين من أبناء أمتنا إلى قوة حضارة الغرب المادية والعلمية والاقتصادية وافتتنوا بها ناسين أن قوة الغرب المادية في شتى المناحي هي قوة هائلة بلا هدف ولا مردود حقيقي على أبنائها، فليس المعيار هو القوة المادية لأنها لا تكفي دون قيم مصاحبة لها، قد تستخدم في أغلب الأحيان كأداة طغيان في الأرض بغير حق وأداة للفساد والظلم.[2]

وإذا ما رجعنا إلى الرواية ونقبنا بين ثناياها فنجد موضوع التحرر والانفتاح نحو الآخر قد عالجته الكاتبة وصورته من زاوية الرغبة في السفر من أجل العمل وكسب الثروة، وقد جسدت تلك الصورة في شخصية" سلام "الشاب المنبهر بأوروبا وما تحمله من مغريات جعلته يحلم بتحقيقها هناك ويفرط في وطنه وأهله وذاته رغبة في التحرر والانفتاح.

ظهرت تلك الشخصية في الصفحات الأولى من الرواية، حيث شغلت حيّزًا بسيطا منها بوصفها من الشخصيات الثانوية التي لم تسهم في تغيير مجرى الأحداث وتحريكها.

---

[1] ينظر: طارق حسن السقا، **الانبهار بحضارة الغرب ذوبان للشخصية وفقدان للهوية**، www.saaid.net. 18/04/2019 21 :30.

[2] ينظر: المرجع نفسه

ترعرع "سلام" في بيت ميسور الحال من عائلة عراقية الأصل كَبِر بين أب وأم مثقفين وأخت وحيدة، أب يُدرس في الجامعة والوالدة ذات جذور أصيلة من زمن الباشاوات والأعيان.

كان "لسلام" عالم خاص به، عالم يرسم له صورة أو جنة يريد أن يذهب إليها دون أن يفكر في ماضيه أو مستقبله من خلال تصوراته الخيالية يرغب في الرحيل لتحقيق أمنيته في التمتع بملذات الحياة، تقول الكاتبة: «**بلدان تؤمن بفكرة التحرر لدرجة أنها تدخل ضمن مبادئ الحضارة فيها.**»[1]

قررت العائلة الرحيل إلى الكويت بسبب عقد العمل الذي تحصل عليه الأب للالتحاق بمنصبه كأستاذ جامعي بعد عديد من المحاولات في الحصول على تأشيرة القبول، "سلام" وأمه "حنان" فرحَا لمثل هذا الخبر لأنهما قد فكرا وخططا لمستقبل زاهر هناك لتحقيق رغباتهما وأحلامهما التي لا تنتهي دون أن يفكرا في فراق وطنهم الأصلي فهدفهم الأول والأخير كسب المال والثروة على حساب الراحة والاستقرار.

تولدت تلك الصورة في ذهن "سلام" من خلال تشجيعات أمه "حنان" له وغرسها في ذهنه، حيث زرعت فيه الأنانية وحب الذات والبحث عن الثروة بأي طريقة والتوجه إلى التفتح، فكان حصاد ما زرعته في ابنها شخص وكأنه آلة ممتلئة بأفكار تسيرها، وهذا ما كان يؤلم أخته "سلمى" التي لطالما نصحته ووجهته وأن ما يفعله ليس الطريق الصحيح، أما والده "كمال" كان يقابل تلك النقاشات بصمت وسلبية ويتألم ويحترق وهو يتأمل الضياع الذي يسبح فيه ابنه ويعرف أنه سيغرق يوما لا محالة «**فحياة سلام التي كانت ممزقة بين العيش مع زملائه وشلة الأصدقاء الذين يرافقهم بلا هدف سوى للمتعة وأفكاره الحالمة نحو الرحيل إلى إحدى الدول اللاتينية للعمل خاصة وأنه يحمل شهادة في السياحة تخصص**

[1] الرواية، ص:11.

فندقة مع إصرار والده للعمل بالكويت إلا أنه كان يرفض الفكرة بتشجيع أمه التي كانت توافقه أفكاره دون أن تستمع لرأي زوجها.»[1] من خلال هذا المقطع أكدت لنا الكاتبة عقلية وتفكير "سلام" وإصراره على السفر لأن ما زرعته والدته فيه قد كبر وتماشى في عروقه وأصبح الهدف الذي بنى عليه مستقبل حياته.

حانت لحظة الوداع وكم كانت مؤلمة فكل من رأى وسمع كلام "سلام" وطريقة وداعه لعائلته يعرف أن هذا الشاب ينوي الرحيل دون رجعة، تقول الكاتبة: «**كانت دموع كمال وكأنها سيل يبكي حرقة فراقه لأولاده يشرح من خلالها غربته التي تحولت إلى غربتين الوطن وبعدها فراق فلذة كبده، أما سلمى ووالدتها فكانتا تجهشان بالبكاء ولم تستطيعا أن توقفا دموع الفراق.**»[2]

وترك بذلك "سلام" الجميع ولم يستطع أن يستدير نحوهم حاملا حقيبته بيده وعيناه تذرفان دمعا تشرحان ما يختلج في صدره مدركا لما هو مُقْدِمٌ عليه ومصرٌّ في الوقت نفسه على مغامرته التي لم يحققها وسط عائلته وفي حضن وطنه.

أرادت الكاتبة "بوشرى بوشارب" أن تجسد لنا صورة الانبهار الطاغي على عقلية الشباب العربي وفكرة الهروب لعالم الحرية والرفاهية، للتحرر من فكر عربي إسلامي معاش والانصياع نحو لوثة المادية التي هي هواء الغرب الذي يتنفسه كل لحظة والتي لا يحق لأي عاقل أن ينظر إليها بأي قدر من الإعجاب والانبهار لأنها تعلي الجانب الحيواني على حساب الجانب الإنساني الذي هو أسمى وأجلُّ ما يستحق السعي لتحقيقه وليس السعي وراء الثروة والمال على حساب الهوية والوطن والانغماس في الآخر بهدف تحقيق آمال خيالية.

---

[1] الرواية، ص:17.

[2] المصدر نفسه، ص:42.

خلاصة الفصل:

بناءً على ما تقدم داخل ثنايا هذا الفصل نستطيع تسجيل النقاط الآتية:

- جسدت الروائية صورة المرأة داخل الرواية بزوايا مختلفة حصرتها في شخصيّة سلمى، أرادت من خلالها التعبير والدفاع عن المرأة وجعلها عبرةً ومثالاً يحتذى به في المجتمع.
- ركزت الكاتبة على ما مارسه المجتمع الذكوري من أبشع طرق التعذيب في حق المرأة التي بات لا يعترف بها كإنسان له حقوقه وعليه واجبات.
- مثلت "بشرى بوشارب" قضية هجرة المرأة في شخصية سلمى من أجل إثبات كينونتها ووجودها في مجتمع آخر غير مجتمعها الذي ينظر لها نظرة احتقار وسخرية.
- تضمنت الرواية نسقًا دينيًا جسدته الكاتبة بصور وزوايا مختلفة لتعبر به عن رأيها ووجهة نظرها.
- من بين القضايا التي تطرقت لها الروائية حادثة تشويه صورة الرسول صلى الله عليه وسلم وكيفية دفاع المسلمين عنه.
- رسمت لنا الرواية صورة المسلمين الحضارية بسلميتهم في دفاعهم عن خير الآنام عبر شخصيات مختلفة من الرواية.
- قدمت لنا الكاتبة صورة من فئة الشباب المنهزم والمنبهر بحضارة الغرب والرغبة في الانغماس والذوبان في الآخر بهدف تحقيق الثروة على حساب الهوية.

الفصل الثاني:

استجلاء الأنساق الثقافية في رواية "حروف الدم"

لـ: "بشرى بوشارب"

1 ـ نسق أسماء الشّخصيّات بين الظاهر والمضمر

1 . 1 اسم صالح

1 . 2 اسم حنان

1 . 3 اسم نرجس

2 ـ النسق السياسي : الزلزال الذي عصف بمنطقة الخليج

3 ـ النسق الاجتماعي بين الواجهة الاجتماعية المرموقة و بين فكرها الرجعي

4 ـ العادات والتقاليد

خلاصة الفصل

1 ـ نسق أسماء الشّخصيّات بين الظاهر والمضمر

تعد الأنساق المضمرة ركيزة النقد الثقافي كون أن «**المضمر نسق ثقافي وتاريخي يتكون عبر البنية الثقافية والحضارية، ويتقن الاختفاء تحت العباءة الجمالية للنصوص، ويكون له دور سحري في توجيه سلوكنا وتفكيرنا.**»[1]

إنّ الأسماء يمكن عدّها أيضا من الأنساق الثقافية، فالاسم المعلن نجده دومًا يخفي وراءه دلالة نسقية مضمرة، ومن بين الأسماء التي سنقوم بدراستها في رواية "حروف الدم" اسم "صالح" و"حنان" و"نرجس".

1 . 1 اسم صالح:

ورد معنى اسم "صالح" في كتاب الأسماء ومعانيها بمعنى «**النافع. ضد الفاسد. الخليق والجدير.**»[2] والصالح الإنسان المعتدل تجاه نفسه وقومه، وهذا ما نلحظه في الفصل الأول من الرواية أن "صالح" هو إنسان متواضع، متخلق، طموح، وصاحب مبادئ وعد سلمى قبل الزواج بأن يكون إنسانًا جديًّا ومسؤولا عن عائلته، وأن يكون الصديق والزوج الوفي الذي يمنحها الوطن والعائلة.

"صالح" «**شاب مثقف ورجل أعمال أنهى دراسته الجامعية، ناهيك على أنه إنسان عصامي وسيرته حسنة لدى العام والخاص.**»[3]

بعد الزواج أحبَّ "صالح" زوجته "سلمى" كثيرًا وعوضها كل ما تمنته خصوصًا عندما علم أنّها ستنجب له مولودًا جديدًا وأنّها «**قد حققت له أحد أحلامه وسط أناس رائعين وزوجته يعتبرها الأروع وينظر إليها بين الحين والآخر ويخاطبها بابتسامة رائعة**

---

[1] محمد بن لافي اللويش، **جدل الجمالي والفكري (قراءة في نظرية الأنساق المضمرة عند الغذامي)**، ص: 128.

[2] وليد ناصيف، **الأسماء ومعانيها**، دار الكتاب العربي، دمشق، سوريا، ط1، 1997، ص: 115.

[3] الرواية، ص: 34.

يخبرها عن شكره وامتنانه على الخبر الذي زف له بأنّه سيصبح أبًا وسيرزق بطفلٍ وتجيبه هي بخجل وحب كبيرين بابتسامة أروع.»[1]

إن الملاحظة التي توصلنا إليها من خلال هذين النصين الطيبة التي يتمتع بها "صالح" كاسم وكشخصية في الصفحات الأولى من الرواية، غير أن المتتبع لمسار الرواية يلحظ تغيرًا جذريًا في شخصيّة "صالح" من شخصية إيجابية إلى شخصية سلبية متقلبة المزاج، ففي البداية صورته الروائية في صورة إنسان طيب يحب مساعدة الناس لطيف في تعبيره ومعاملته مع الغير، منح كل الحب والحنان لزوجته وعاش معها حياة كلها سعادة وعطاء، لكنّه في ظرفٍ وجيزٍ تحول"صالح" ولم يكن صالح كاسمه، فأصبح شّخصيّة متطورة وحركية تتغير بحسب المواقف والأحداث فتصرفاته تغيرت شيئًا فشيئًا وأصبحت تميل نحو العصبية والعزلة في كثير من الأحيان.

إنّ السبب الوحيد الذي غيّر "صالح" إلى شخصيّة سلطوية هو الحرب التي دارت بين العراق والكويت الأمر الذي جعل منه إنسانًا عصبيًا انطوائيًا متوترًا سريع الانفعال والغضب وكان سخطه أكبر على زوجته عندما يشاهد الأحداث التي تقع بين البلدين إلى أن جاء «**اليوم المشؤوم بالضبط الثاني من أغسطس عام 1990 حين توغلت القوات العراقية إلى الكويت بعد توترات كبيرة ومنازعات بين الطرفين هنا انفجر صالح في ليلة هوجاء على سلمى وهو يصيح بأعلى صوته كأنّه شخص آخر.**»[2]

ما نلحظه هنا هو أن "صالح" لم يستطع صبّ غضبه في محيطه الخارجي فأراد إفراز تلك الشحنات السلبية في محيطه الداخلي أو بالأحرى داخل أسرته خصوصًا عندما استنجدت الكويت بدول الخارج لمساعدتها في هذه الحرب، فيقول "صالح" لزوجته: «**كيف**

---

[1] الرواية، ص: 47.

[2] المصدر نفسه، ص: 53.

ونحن الذين آويناكم وحميناكم تنهبون بلادنا وتأسرون شبابنا وتقولين أننا أمة واحدة وشهادتك لا تنطبق مع ما نراهُ، أُسِرَ أبناء وطننا ودمرت أرضنا والفضل يعود لبلدك العراق فقد توغلت قواتكم وسيطرت على العديد من المناطق وكل هذا بسبب البترول والحدود فهل يرضيك كل هذا؟.»[1]

إنّ النسق المضمر الذي يخفيه هذا المقطع تمثل في هيمنة الأنا الذكورية على الزوجة حيث تحولت هذه الأنا المتسلطة إلى شّخصيّة شريرة تفرض سطوتها على المرأة وتحملها سبب الحرب وهذا ما يحيلنا إلى مقولة "كارل ماركس" **(Karl Marx)** إنّ الطبقة التحتية تؤثر تأثيرًا مباشرًا في الطبقة الفوقية، فالحرب وعدم الاستقرار كطبقة تحتية أو كعامل مباشر انعكس سلبًا في الطبقة الفوقية من المجتمع والمتمظهر في سلوكات الشخصية خاصة إذا كانت هذه الشخصية تعاني اضطرابًا داخليًا ولا تستطيع البوح به ففي كثير من الأحيان يرجع «**صالح إلى منزله، مكسور الضمير والخاطر لما فعله بسلمى لا يعرف من أين أتى وإلى أين سيذهب شخص حائر يطرح عليه كل من يراهُ سؤالاً واحدًا ومشتركًا ما بك؟ ما الذي جرى لك؟ وكأن من يخاطبه يتكلم معه لغة لا يفهمها وضميره فقط من يصرخ ويصرخ لماذا يا صالح، هذه سلمى هل مات فيك الضمير.**»[2]

يوحي هذا المقطع أن "صالح" أضحى يعيش حالة صراع داخلي بينه وبين نفسه يدفعه هذا الصراع في كثير من الأحيان للرجوع إلى أصله، لكن الأنا المهيمنة تطغى عليه وتجعل الجانب العنجهي المحرك الأساس لعواطفه وأحاسيسه وهذا يؤدي إلى قتل روح الإنسانية فيه، تقول "نرجس":«**في أحد تلك الأيام المشؤومة والمكللة بالحزن ووجع الفراق دخلت على صالح فوجدته يبكي ويبيده صورة سلمى، لكنّه عندما رآني أخفى**

---

[1] الرواية، ص:53.

[2] المصدر نفسه، ص: 61.

الصورة وطلب مني أن لا أبوح بما رأيته لأحد ومنذ ذلك الحين وصالح يعيش أيامًا تكسوها حالة الندم والألم»[1]

يطالعنا هذا المقتطف من الرواية على أن الأنا الذكورية كنسق مضمر هي التي تسيطر على الوضع، فالبكاء والندم ينظر إليه الرجل على أنّه مهانة ومذلة له وهذا دليل على تضخم الأنا الذكورية، ففي ثقافتنا الشرقية البكاء والاعتراف أمام الطرف الآخر . المرأة . يعني ضعفًا وانتفاءً ونقصًا في الرجولة، حتى أن المثقف الواعي لم يستطع المحافظة على شخصية مستتبة نفسها من الأول إلى الآخر تمكنه من تغيير الوضع السائد والمعاش، فتحول عجزه إلى عقدة نقص وكبت عمل على تفريغها في شكل شحنات سلبية داخل البيت، كون البيت يعد مجتمعًا أصغر يمارس فيه سلطته الذكورية الظالمة لأن المنطق الذكوري يتميز بالتعسف في التعامل مع المرأة وهذا معيار لصناعة شخصية ذكورية دكتاتورية متعالية، فإذا كانت أوضاع حرب الخليج جمعت بين دكتاتورية صدام حسين والطرف الآخر. الكويت . نجد أن "صالح" رفضها في الواقع لكن لا شعوريًا تبنى هذه الدكتاتورية التعسفية داخل مجتمعه الأصغر ومارس لا شعوريًا دكتاتوريته وعنجهيته التي يحركها عامل واحد ونسق مضمر واحد هو النسق الذكوري المستبد، فذكوريته التي عجز عن تطبيقها في الواقع الراهن أو المجتمع الأكبر جسدها في حق المرأة، لأنها هي العنصر الضعيف المغلوب الذي يمتص كل الطاقات السلبية من الرجل وهذا دليلٌ على أن المرأة مقهورة في المجتمع الأكبر والمجتمع الأصغر.

من خلال ما تقدم نلحظ أن الروائية أرادت أن تبرز لنا أن المجتمع الخليجي مجتمع تحكمه العقلية الذكورية المصرّة على قهر وإهانة المرأة وتحميلها كل مشكلة تحدث له في الواقع.

---

[1] الرواية، ص:87.

1 . 2 اسم حنان:

ورد معنى اسم "حنان" في كتاب الأسماء ومعانيها بمعنى: «**العطوفة.**»[1] فظاهر الاسم والمتفق عليه أن اسم "حنان" هو شخصيّة لطيفة تحب مساعدة الناس عطوفة إلى أقصى حد، شخصية تقدس الاستقرار والدفء العائلي وتحب جمع العائلة على طاولة واحدة، تتصرف بهدوء، ولا يعلو صوتها أثناء التحدث مع النّاس، لكن المفارقة في أن الروائية أعطت اسم "حنان" لشخصية سلبية لم تكن أهلاً لهذا الاسم فصورتها الرواية على أنّها تحب حياة البذخ والترف والرخاء وترفض العيش في ظروف متواضعة وعادية يملؤها الحب والحنان الذي يفتقده ولداها في كثير من الأحيان خصوصًا البنت "سلمى" التي كانت تنظر "لخلود" صديقتها وهي تتحسر على المعاملة والطيبة التي تتحلى بها أمها وتتمنى أن تكون "حنان" بالسلوكات نفسها التي تتصف بها "الست عايدة" كونها من أطيب وأحن الأمهات عكس شخصية "حنان".

إن الفكر الطبقي الذي انغرس في عقلية "حنان" كونها ذات جذور أصيلة من زمن الباشاوات والأعيان جعل منها امرأة شريرة متكبرة وهذا هو طبع الطبقات المخملية التي زرعت في نفوس أبنائها فكرة الطبقية وعدم الاحتكاك بالطبقات الدنيا للمجتمع، لأن احتكاكهم بهذه الطبقة يُعد عيبًا وكسرًا لقواعد وسلطة تقاليد مجتمعهم الراقي تقول الروائية كانت "حنان": «**تعيش يومياتها المرتبطة بالمناسبات والزيارات والعلاقات الاجتماعية التي تعتبرها الأكسجين والهواء الذي تتنفسه وتحرّم على نفسها العلاقات المتواضعة البسيطة والتي تعتبر أن نتيجتها العدم وأنها انحدار لاسم عائلتها ومضيعة للوقت. هكذا**

---

[1] وليد ناصيف، **الأسماء ومعانيها**، ص: 237.

كانت حياة الترف كما تسميها هي والمستوى المادي الذي كانت تعيشه حتى ولو كان أكبر من مستواها المادي (...) المهم المحافظة على الإرث العائلي.»[1]

يخفي هذا النص نسقًا مضمرًا تمثل في غياب روح الإنسانية عند الطبقات البرجوازية الراقية وقد جسدته الكاتبة في فكرة التكبر وعدم التواضع أمام الطبقات البسيطة في المجتمع، فهذه الطبقات المخملية نجدها دائمًا منشغلة بملذات الدنيا وهمهم الوحيد إرضاء المخلوق على حساب الخالق وهذا ما يؤدي بهم في كثير من الأحيان إلى الكفر والخروج عن طاعة الله سبحانه وتعالى.

إن نسق اسم "حنان" حمل منطقا عكسيا تمثل في تسلط المرأة على الرجل وفرض أوامرها عليه، فأصل الرجل أن يكون هو السيد وهو المهيمن على المرأة تطبق طلباته دون مناقشة لكن "حنان" كسرت تلك المقولة التي تعطي السلطة للرجل وتهمش المرأة وحملت هي شعارها، فأصبحت تتحكم في زوجها وأولادها وما على "كمال" إلا الانصياع لرغباتها «**بالتودد للعائلات الراقية والاندماج في مجتمع تود أن تضع فيه بصمتها وأن ترسم لنفسها حيزًا وحدودًا لا يمكن لأحد من الأشخاص الغير مرغوبين فيهم أن يدخلوه.**»[2]

يتضح مما تقدم ذكره أن شخصيّة "حنان" مثلت صورة المرأة المتسلطة التي أرادت فرض ذاتها وهيمنتها على أسرتها بسبب الأفكار المنغرسة في عقلها وفي ثقافتها أن الماديات هي أغلى ما يملكه الإنسان في هذا الكون، حتى أن راحة أبنائها كانت تنظر إليها على أنّها مال وجاه فقط ولم تكن تستشرف المستقبل البعيد الذي يخبأ لها كثيرًا من الأحزان والمآسي.

---

[1] الرواية، ص: 15.

[2] المصدر نفسه، ص:15، 16.

إن تعنت "حنان" ولا مبالاتها بأسرتها دفع بها لفقدان ابنها "سلام" ورحيله إلى الخارج دون رجعة وزواج ابنتها "سلمى" من أكبر أثرياء الكويت وبقيت هي وزوجها في بيت كئيب مظلم فهذا ما زرعته وما عليها الآن إلا أن تجني ثماره.

وفي الأخير عادت "حنان" إلى أصلها فتحولت إلى شخصيّة إيجابية وتغيرت أفكارها التي كانت تنم عن التكبر والتفاخر وهذا راجعٌ إلى تجربتها في الحياة التي علمتها عديدًا من الأمور فأصبحت «**حنان امرأة أخرى منذ رحيل سلام وفقدانه وزواج ابنتها أصبحت المرأة الهادئة، قليلة الكلام يغلب عليها الصمت ولا يهمها شيء سوى الاهتمام بزوجها ورعايته والذي أصيب في الآونة الأخيرة بداء السكري.**»[1]

وفي هذا الإطار يعد الشعور بالحسرة والندم دليلاً على أن الإنسان مازالت فيه روح الإنسانية ومازال ضميره حيًّا يتحرك فيه لأن هذه الحياة مجرد رحلة قد تكون طويلة أو قصيرة المهم أن نعي كيف نستغلها في أمور ترضي الله بعيدًا عن ما أسمته هي بفكرة التمييز الطبقي.

1 . 3 اسم نرجس:

"نرجس" في اللغة جاءت بمعنى: «**النَّرْجِسُ، بالكسر، من الرياحين: معروف وهو دخيل. ونِرْجِس أَحْسَن إذا أُعْرِبَ، وذكره ابن سيدة في الرباعي بالكسر، وذكره في الثلاثي بالفتح في ترجمة رجس.**»[2] وهذا يعني أن النرجس نوع من أنواع النباتات ذات الرائحة الزكية.

أما معنى اسم "نرجس" فهو عبارة عن «**اسم علم مؤنث يوناني الأصل "نرسيس" وعندهم اسم مذكر وهو فتى أسطوري جميل الوجه نظر صورته في الماء فعشقها، وظل**

---

[1] الرواية، ص:44.

[2] ابن منظور، **لسان العرب**، مج6، مادة (ر. ج . س)، ص: 230.

يتأملها إلى أن مات، ونبت مكان موته زهرة حملت اسمه، فعربناها إلى نرجس، وقد جاءتنا عن طريق الفرس، وهي زهرة صفراء حقلية .»[1]

يحمل اسم "نرجس" في الظاهر صفات الغيرة وحب الذات والولع بالنفس لكن المفارقة كانت غير ذلك فاسم "نرجس" في الرواية منحته الروائية صفات عكسية لما يحملها الاسم في الأصل، فكانت "نرجس" نبع الحنان والعطاء خصوصًا مع "أسامة" الذي فقد أمه وهو رضيع يحتاج لرعايتها، فلقي ذلك الدفء والمحبة في حضن "نرجس" فقد رعته بحبها وحنانها وبدموعها وعندما رحل "أسامة" مع أبيه إلى سويسرا جفت مقلتي "نرجس" على فراقه.

الملاحظ هنا أن الروائية عملت على كسر أفق توقع القارئ عندما استخدمت اسم "نرجس" داخل الرواية وشحنته بسمات مميزة جعلت المتلقي يدرك أن الظاهر ليس بالضرورة يعبر عن الجوهر أو الكنه الحقيقي للأشياء والأمر نفسه في اسم "نرجس" فـ"نرجس" إنسانة طيبة تحب مساعدة الناس وهذا ما دفعها للوقوف في وجه "صالح" الذي حرم "أسامة" من أمه وأوهم "نرجس" أن والدته ذهبت في رحلة وستعود وهو سيترك الطفل عندها إلى أن تعود أمه لكن "نرجس" عندما علمت بذلك أخذت تصرخ في وجه "صالح" وتقول له:«**فيما أشركتني في حرمان أم من ولدها على أساس أن والدتها مريضة وأنها ذهبت للعراق لفترة قصيرة للاطمئنان على أهلها وستعود قريبا (...) أنا والله يعلم ماذا كنت تقول لتلك المسكينة التي حرمتها من ابنها، بعد أن حرمها الزمان من أهلها، آه ماذا فعلت شهور والأم محرومة من فلذة كبدها، يا إلهي ماذا فعلت وفيما شاركت؟.»**[2]

---

[1] https://www.almaany.com 15/05/2019 23 :00

[2] الرواية، ص: 73.

يخفي هذا النص مكر ودهاء الرجل الذي يؤدي دومًا دور الإنسان الطيب حتى يصدقه الطرف الآخر. المرأة .؛ بعدّها ذلك الكائن البشري الذي يتأثر بسرعة مع ما يحيط به من أحداث وهذا ما وقعت فيه "نرجس"، فخوفها على مشاعر الآخرين وتحليها بروح الإنسانية دفعها للتحسر على ذلك الزمان الذي صدقت فيه "صالح" وحرمت أم من ابنها دون علمٍ منها وأرجعت هذا كله لدكتاتورية والده وتسلطه على أمه، فحاولت "نرجس" بطيبتها وجمال روحها أن تمنح "أسامة" ذلك الحنان والعطف الذي فقده وهو صغير ومازال يفتقده وهو كبير، حتى أنها كانت دوما تحاول أن «**تقنعه بأنّه ابنها، وأن كلمة يتيم ووحيد لا توجد في قاموس العائلة أو قاموسه مادامت على قيد الحياة.**»[1]

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن "نرجس" في الرواية شكلت صورة المرأة الحنون القادرة على احتواء وتفهم معاناة ومشاعر الآخرين ومحاولة إرضاء الناس ولو كان ذلك على حساب ذاتها حتى أنّها كانت في كثير من الأحيان تفضل "أسامة" على أولادها حتى لا يشعر أنّه وحيدًا في هذا الكون فتقول له "نرجس": «**عشت العذاب والفراق لأنك كنت تتنقل بيننا، وأنا من كنت أعتقد أنني أمك بل أنت فلذة كبدي أحببتك أكثر من أحمد وعزة.**»[2]

حاولت "نرجس" عدم زرع روح الغضب والسخط في نفس "أسامة" خصوصًا عندما علم أن والده تسلط على أمه وحرمها من جميع حقوقها، فبالرغم من أن "نرجس" رفضت تمامًا هذا التهميش والاستعباد في حق المرأة إلا أنّها حاولت أن تظهر "لأسامة" صورة إيجابية عن والده حتى لا يحقد عليه تقول له: «**اسكت، مهما يكن فقد كان والدك يتعذب**

---

[1] الرواية، ص: 82.

[2] المصدر نفسه، ص: 103.

لفراقها وندم بعد رحيلها ودفع الثمن بعد ذلك غاليا أقله أنه رحل نهائيا من بلده ليعيش غريبًا في بلد أناس لا يشاركهم فرحته أو حزنه ولا حتى أبسط الأمور.»[1]

من هذا المنطلق إذن نستطيع القول إن الروائية أرادت أن تبرز لنا الجانب الأخلاقي والإنساني في اسم "نرجس" من خلال اهتمامها واحتواءها لمشاعر الآخرين.

ونتيجة لعنصر نسق الأسماء بين الظاهر والمضمر نجد أن الروائية "بشرى بوشارب" أحدثت مفارقات في بعض أسماء شخصياتها داخل الرواية من أجل شد انتباه القارئ لما تخفيه هذه الأسماء من أنساق مضمرة تعبر عن الحلقة المفقودة التي يجب أن تتوفر فيهم.

2 . النسق السياسي: الزلزال الذي عصف بمنطقة الخليج

شهد العقد الأخير من القرن العشرين صراعات عربية بيّنة على مستوى الدول والتيارات والقوى السياسية المعلنة منها والخفية تسابقا من أجل السلطة والبقاء في القمة فتلك الأزمات ليست وليدة اللحظة بل هي ذات دوافع مسبقة أدت إلى انفجارها بهذا الشكل، وحرب الخليج الثانية من أكثر الأحداث تأثيرًا على العالم العربي فهي لم تكن حدثًا عاديًا في تاريخ المنطقة بل والدنيا بأسرها.

عاصفة الصحراء أو أم المعارك هكذا لقبت حرب الخليج الثانية، ففي الثاني من أغسطس 1990 اجتاحت القوات العراقية أرض الكويت بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية وبتشجيع من الأمم المتحدة، تألفت الحرب من جزئين رئيسين وهما حملة القصف الجوي على أهداف داخل العراق والتوغل الأرضي لقوات التحالف داخل الأراضي العراقية.[2] حيث توغلت المدرعات والدبابات العراقية في العمق الكويتي وقامت بالسيطرة على مراكز

---

[1] الرواية، ص: 103.

[2] ينظر: محمود الهلالي، **حرب الخليج الثانية**، 15: 10 21/05/2019 .v.b.alhilal.com

رئيسة في شتى أنحاء الكويت ومن ضمنها البلاط الأميري، ارتكب الجيش العراقي عديدًا من الجرائم بحق الشعب الكويتي كاعتقال الآلاف من المدنيين الكويتيين وعمليات الإعدام بدون محاكمة واغتصاب النساء بالإضافة إلى السيطرة على الإذاعة والتلفزيون الكويتي.[1]

وإذا ما بحثنا عن الأسباب الحقيقية وراء هذه الحرب فإن مشاكل العراق الاقتصادية «**بسبب انخفاض أسعار البترول وخسائرها المادية المنجمة عن حربها مع إيران كانت من بين الأسباب التي أدت لغزوها للكويت وكان العراق يرى أن الكويت تتجاهل شكاويه في موضوع البترول ووصلت شكوكه إلى درجة الاقتناع بأن الكويت تستخدم أداة للضغط على إمكانياتها وعلى نمو قوتها وكانت النتيجة إعلان حربها عليها.**»[2]

تعد رواية "حروف الدم" رواية اجتماعية بالدرجة الأولى كونها أثارت قضايا أسرية وأخرى متعلقة بالسلوك الإنساني وأوجهه، لكن إذا ما نقبنا ونبشنا بين ثناياها نلحظ أن الجانب السياسي بوصفه التيمة المهيمنة قد شكل منطلقا أساسيا في تنامي بؤرة التوتر لأحداث الرواية، فحرب الخليج الثانية كانت صورة من صور الأزمات التي عرفتها الأمة العربية ودول الخليج خاصة، جسدتها الكاتبة اليوم في روايتها تعبيرًا عن الواقع العربي المعيش.

ولأهمية هذا النسق . السياسي . الذي يفرض نفسه داخل الرواية تحتم علينا إلقاء الضوء على بعض النقاط المثارة داخل المتن الروائي والتي شكلت نقطة تحول لتشابك الأحداث وتناميها.

---

[1] ينظر: محمد حسنين هيكل، **حرب الخليج (أوهام القوة والنصر)**، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، مصر، ط1، 1992، ص: 42.

[2] المرجع نفسه، ص: 48.

فقد رصدت الرواية فترة توتر وصراع كبيرين عرفتهما العراق والكويت بسبب مشاكل البترول وأسعاره ومشكلة الحدود وما شابه ذلك، لتحكي الكاتبة بذلك عن طبيعة العلاقات بين الشعبين قبل الحرب وبعد نشوبها وتبين مدى التحامهم ووقوفهم مع بعض في وقت المحنة، فمثلت تلك الصورة بعائلة "سلمى" بطلة الرواية عند رحيلها للكويت بسبب عقد العمل الذي تحصل عليه والدها للالتحاق بمنصب أستاذ جامعي.

تعرفت سلمى على فتاة تدعى "خلود" وكانت بمثابة الأخت والصديقة التي ساندت سلمى في أيامها الأولى بالجامعة، عرفتها على أهلها وعائلتها ومن ثم توطدت العلاقة بينهما وأصبحت "خلود" الأخت التي لم تلدها أمها وعوضتها عن كل الصديقات اللاتي تركتهم في العراق، وبقيت صداقة "خلود" و "سلمى" مستمرة حتى بعد نشوب الحرب بين البلدين لأن "خلود" كانت أعقل وأعلم بأن "سلمى" لا دخل لها في هاته الحرب وأن ما بينهما أكبر من كل الفتن.

تقول الكاتبة في هذا المقطع . مشهد تعارف خلود بسلمى ومبادرة بدء الصداقة بينهما . « **لا تندهشي، فهذه حال الجامعة كل في شأن**

. لست مندهشة ولكن أول يوم وأول سنة وأنا عراقية

. تشرفنا أنا خلود كويتية أكيد وأول زميلة لك.»[1] يوحي هذا المقطع بمبادرة "خلود" لمصاحبة "سلمى" وضمها لها ولعائلتها حتى لا تشعر بالغربة وبأنها وسط أهلها ووطنها وإذا ما أردنا التدقيق في هذا المقطع فإنه يحيلنا لطبيعة العلاقة المتينة التي تربط الشعبين ببعض وتبين إخاءهم ومسالمتهم لبعض بعيدًا عن السياسة ومشاكلها وفتنها، فلم تفكر "خلود" يومًا في وجود عائقٍ وحاجز بينها وبين "سلمى" كونها عراقية الأصل، لأن اختلاف ألوان العلم واختلاف العادات والتقاليد لن تكون عائقا أمام دين واحد ودم واحد

[1] الرواية، ص: 13.

وهذا ما أكدته الروائية في هذا المقطع «**لكن العيش في الكويت واللقاء بخلود أنسى سلمى غربتها وبعدها عن الوطن، ألوان لأعلام مختلفة ترفرف في سماء كل دولة عربية وحجارة في الأرض ترسم حدودًا بين الأشخاص لتتكون مجتمعات لكنها لن تكون عائقًا أمام دين واحد ودم واحد**»[1] فهذا حال الشعوب العربية إذا كانت السياسة بعيدة عنهم، لكن ماذا نقول لرؤساء هاته البلدان الذين يسعون وراء السلطة والاحتكار والسباق نحو البقاء في الصدارة.

فبعد توتر العلاقات بين البلدين وإعلان العراق حربها على الكويت تأزم الوضع بين الشعبين والمتضرر طبعا هم أهالي وأسر الكويت، تقول الكاتبة «**عام 1990 بالضبط الثاني من أغسطس، اليوم المشؤوم حين توغلت القوات العراقية إلى الكويت بعد توترات كبيرة ومنازعات بين الطرفين، وهنا انفجر صالح في ليلة هوجاء على سلمى وهو يصيح بأعلى صوته كأنه شخص آخر.**»[2] يوضح لنا هذا المقطع ليلة سقوط الكويت واحتلالها نفسها ليلة سقوط منزل "سلمى" وكثيرا من المنازل وهنا أصبح "صالح" وحشا كاسرًا يحطم كل ما يراه أمامه وهنا كانت نقطة التحول وبداية للألم والمآسي وبداية لطريق العذاب ومسيرته.

فـ"سلمى" التي كانت تعيش حياة كلها سعادة رفقة "صالح" الذي عوضها كل شيء والذي كان لها الزوج الحنون الطيب والمتفهم لكنه تغير وتحول بمجرد توغل العراق إلى أرض الكويت وإعلان حربها عليها وأصبحت معاملته شرسة وعنيفة انتقاما منها وأخذًا بثأر بلده، فقد منعها من كل شيء وحبسها في غرفة وسلبها ابنها الوحيد من غير سابق إنذار اعتقادا منه أنه سوف ينقذه من امرأة جميع أهلها مجرمون يعذبون الأشخاص ويأسرونهم رغم وعيه الكبير أن لا دخل لها في هذه الحرب الشنيعة التي يتمت الأولاد

---

[1] الرواية، ص: 18.

[2] المصدر نفسه، ص: 53.

ورملت الزوجات وأسرت الشباب، تقول الكاتبة: «**فجعل من سلمى أسيرته حتى يطفئ نار غليله ويحرمها من أسامة وتحس بما يعانيه أهالي الأسرى الكويتيين حسب رأيه.**»[1]

هكذا صورت الروائية علاقة الشعب الكويتي بالعراقي بعد نشوب هذه الحرب بعلاقة "سلمى" و"صالح"، علاقة يسودها الكره والحقد والرغبة في الانتقام بعد ما كانت في غاية الرحمة والمودة والسلام، لكن قرارات الحكام وأهدافهم الخبيثة دمرت مصير شعب بأكمله وأفسدت العلاقات بين الشعبين وأشعلت نار الفتنة في قلوبهم، والملاحظ في تجسيد هذه العلاقة أنها قد صُورت بصنفين، صنف طاغي عنيف غير واعٍ ممزوج بالغباء وصنف خيّر يزن ويوفق بين السلطة والشعب، بمعنى أن الكاتبة ترى بذلك عودة الحياة السياسية بين الدول العربية للانتظام وفق المنظومة الطبيعية، فلا بد من الاتحاد والتضامن كجسد واحد للنهوض بالأمة العربية بدلا من التقاتل والصراع، توضيحًا لما سبق، فقد تجسد الصنف الأول في نزعة "صالح" الوطنية المبالغ فيها والتي تحولت إلى ظلم وتعنت تجاه "سلمى" اعتقادا منه أنه سوف ينتقم ويرجع كرامة بلده بتلك العصبية وانحباس فكره في أخذ الثأر لمن لا دخل له، فتعنته ودفاعه عن وطنه بطرق وحشية تجاه زوجته دفعت به إلى فقدان أسرته وشتاتها، يقول "أسامة": «**لا أصدق يا ريتشارد أن أمي عاشت في هذه البلاد دخلت هذه البيوت وانتقلت بين كل هذه المدن كانت حياة والدتي مستقرة لكن الحرب غيرت كل شيء كان والدي وطنيا ولم يطبق هذا الوفاء إلا على والدتي.**»[2] ، ومن جهة ثانية صورت المشهد المعبر عن تضامن "خلود" مع صديقتها في محنتها والتي لم تلمها يومًا عن نشوب هذه الحرب، لأن "سلمى" في حد ذاتها رافضة لقرار صدام حسين لاحتلاله الكويت التي لا طالما احتواها واحتوى عائلتها وكان شعبه في قمة الإنسانية عند وفودها له والعيش فيه فـ"خلود" رغم أسفها وقهرها لما يحدث في بلدها

---

[1] الرواية، ص: 54.

[2] المصدر نفسه، ص: 132.

إلا أنّها كانت أكثر وعيًا من "صالح" بأن السياسة والأمور التي لا تحتكم للإنسانية لن تدخل بينها وبين صداقتها مع "سلمى".

فالكاتبة تشير بهذه الصورة إلى ما يجب أن يكون بين العراق والكويت وهو التضامن والاتحاد مع بعض وحل المشاكل بعقلانية وتفهم بدلا من القتل والعنف، لكن ماذا نقول للذين يمدون آذانهم للغريب وأي غريب عدو العالم بأسره . أمريكا . التي كانت سببا ودعمًا كبيرًا في نشوب هذه الحرب لأن ما هدفت إليه هو السيطرة على العراق وامتلاكها وهذا لا يتأتى إلا بإشعال نار الفتنة بين الدول العربية و نار الصراع بين شعوبها فمن جهة رأت فيهم روح التكافل والتضامن والاحتواء ومن جهة أخرى قوة اقتصادها وخيراتها الطبيعية . البترول . فلم يفكر صدام حسين حين أعلن حربه على الكويت بالشعب الذي سيُدمر ويقتل ونسي أن الدولة التي سيحتلها دولة عربية مجاورة وأن العلاقة بين الشعبين ستهتز لأن جل اهتمامه كان منصبًا في كيفية الاحتكار على البترول لتسديد ديونه الناتجة عن حربه مع إيران التي خرج منها بخسائر لا يمكن استرجاعها إلا بالاحتيال والاحتلال وفي الحقيقة أنه لم يفكر في أهداف أمريكا الخفية التي ستحتل أرضه بمجرد وقوعه في الفخ الذي نصبته، تقول الكاتبة: «**أيام تحكي صراعات دولية عربية والتوتر بينهم حروب المستعمر وقهر أمم عربية تركناها ولم نستطع نسيانها ودموعنا لا تزال تنهمر على فلسطين ولبنان (...) لنتفاجأ اليوم بصراعات جديدة والتوتر الكبير الذي يحصل بين الكويت والعراق (...) بسبب مشاكل البترول وأسعاره.**»[1]

من خلال هذا المقطع نخلص إلى أن الكاتبة قدمت لنا حالة العنف التي سادت بين العراق والكويت لتعميق الإحساس بالحدث لدى المتلقي لأن القارئ يتأثر بالأحداث ويتأسف لما تحمله تلك الفترة الزمنية من سوداوية وظلام أصيبت به الدول العربية.

[1] الرواية، ص:52، 53.

تقول الكاتبة على لسان "أسامة": «**الله يسامح من كان السبب في نشوب نار هذه الحرب التي أحرقت كل عائلتي وأصبحت أنا اليوم كالرماد.**»[1] وتورد أيضا «**ارحمي النار التي تحرقها وليس الروح، فالروح أصبحت رمادًا لا أمل منها.**»[2]

في وسط تلك العبارات وما بينها نلحظ بروز لفظة "**الرماد**" وتكرارها والتي قد تكون مفتاحًا للكشف عن خبايا ومضمرات سطور الرواية وإشارة تحيلنا لنصل إلى ما تود الكاتبة إيصاله من خلال هذه الحرب.

فإذا أردنا لمس المعنى الحقيقي لكلمة "الرماد" فلابد من النظر في معناه الخفي والمبطن، وبما أن أحداث الرواية تتمحور حول نشوب الحرب فإن القتل هو نتيجة حتمية له، وتوظيف الكاتبة للرماد كان تعبيرًا عن تلك الأرواح المهدرة ظلمًا، لكن عند التمعن في عبارات الرواية نلحظ أن الرماد قد عبر عن تلك العلاقة التي تربط الشعبين والتي انخمدت نارها وأصبحت رمادًا، لكن هذا لا يعني انطفاء ناره بالكامل، فحقيقة الرماد هنا قد توحي بأن بقايا الحرب مازالت موقدة في نفوس الشعب والتي قد تشتعل وتلتهب بمجرد النفخ فيها وإذكائها من جديد، وهذا ما دلت عليه عبارة "أصبحت أنا اليوم كالرماد" فالنار لم تحرق الجسم فقط بل حرقت الروح التي بداخلها وولدت فيها الحقد والضغينة، فالحرب أخرجت ومحت لون السعادة من حياة هاته الأسر ولونتها بصبغة الظلم والقهر والإهانة والأبشع ما خلفته من كره في القلوب.

فبين ظاهر الحديث ومضمره فإن ما تعيشه الدول العربية الآن وما تشهده من صراعات وحروبًا باردة كان الهدف المبطن الذي سعت الكاتبة لإيصاله، فحرب الخليج الثانية ما هي إلا واجهة لتعلق الكاتبة فيها توجعها وتأسفها لما يحدث اليوم في عالمنا

---

[1] الرواية، ص:146.

[2] المصدر نفسه، ص: 86.

العربي وربما اختارت تلك الحرب في حد ذاتها لأنها من أكثر الحروب التي مست وزعزعت كيان الأمة العربية ومنطقة الخليج خاصة، والملاحظ في هذه الرواية أنها قدمت نقدًا خفيًا لرؤوساء الدول العربية وكان ذلك من خلال شخصية "صالح" بما أنه رب الأسرة وحاكمها فإن قراراته المتسلطة والمتجبرة كانت سببا في تشرد أسرته وشتاتها وحكم على سعادتها بالإعدام وهذا هو حال حكامنا الذين دمروا بقراراتهم مصير شعوبهم من أجل السلطة وزيادة نطاق نفوذهم السياسي لأنهم لا يعون نتيجة وعواقب ما يتخذونه من قرارات تعود بالسلب على سلامة واستقرار شعبهم ومن جهة أخرى تصارع هؤلاء الرؤوساء فيما بينهم من أجل السيطرة والبقاء في القمة مما يؤدي إلى ظهور خلافات بين الشعوب العربية والتهديد بوحدتها، وتمثيلا لذلك ما تشهده اليوم بعض دول الخليج في صراعها المعلن مع دولة قطر المجاورة واتهامها بالخيانة والتحايل ودعمها للعمليات الإرهابية لكن خلافهم هذا يخفي هدفًا يسعون وراءه وهو ولاؤهم لأمريكا والبقاء تحت رحمتها وما يجري في سوريا أيضا نموذجٌ لتسلط وتجبر الحاكم بقراراته والنتيجة دمار شعبها وتشرده.

فقد كانت لفظة "الرماد" تعبيرًا موحيًا لطبيعة العلاقات العربية وخلاف رؤوسائها والتي تحمل نارًا خامدة وراء ذلك الرماد الأسود، فمصير الشعوب أصبح محكوما بقرارات هؤلاء الرؤوساء، ومع تبدل الحكام تتغير العلاقة وتتراوح ما بين التعاون والشك والنزاع والصراع.

صحيح أن ما يجري بين دول الخليج خارج دائرة الحرب والقتل لكنه أكثر رعبًا وخوفًا من ذلك، لأن تلك الحروب الباردة والنزاعات الكلامية قد تكون خطرًا يهدد الوحدة العربية وسببًا في صراع شعوبها. تقول الكاتبة: «**مدت يدها لسلمى وتصافحتا**»[1] استقراءً لهذا المشهد الذي تصور فيه الكاتبة تصافح "سلمى" و"خلود" يبين لنا رغبتها في تحقيق

[1] الرواية، ص: 13.

فكرة التسامح والاتحاد من جديد بين الدول العربية وصفاء العلاقات من كل ضغينة أو حقد، فبه تنزع كل المشكلات والفتن لأنه مبني على أساس ثابت وهو قلب صفحة الصراع والبدء بصفحة جديدة وهو السبيل لتعزيز السلام والتضامن والتفاهم، لذا حرصت الكاتبة على تجسيد تلك العلاقة بين البلدين بهذه الصورة لإعادة إيقاظ الوحدة من جديد.

فالرواية هي محاولة لإعادة إيقاظ الضمير العربي وتنبيهه بأن قوته في وحدته وتضامنه، فالكاتبة تهدف إلى تأكيد قيمة العروبة والدين الذين يجمعان بيننا ومحاربة كل أشكال الفتن.

3 . النسق الاجتماعي: بين الواجهة الاجتماعية المرموقة وبين فكرها الرجعي

من أكثر الآفات الأخلاقية الخطيرة والمنتشرة في المجتمع، داء الغرور الذي طغى وسر عدواه في الأوساط الاجتماعية، فهو سلوك يعكس تصرفات الفرد ومعاملاته مع من حوله، وغالبًا ما يكون نتيجة ما تراكم عنده على مرّ مراحل حياته.

الغرور داء يدل على نقص الفطنة وطمس نور العقل والبصيرة فينخدع العبد بما آتاه الله على الناس ويتكبر وينصاع وراء نزواته ورغباته بالأخطاء بسبب الجهل، فمنهم من يغتر بزخارف الدنيا ومباهجها الفاتنة ومنهم المغتر بالزعامة أو المال أو القوة.[1] ومنهم من يغتر بحسبه ونسبه لتلك العشيرة أو القبيلة ويتفاخر بما يملكه من مال وجاه حيث تعود جذور هذه القضية إلى العصر الجاهلي عندما كانت القبائل العربية تتباهى بنسبها العريق وهذا ما يؤدي بهم في كثير من الأحيان لقيام الحروب فيما بينهم «**وأهل الحسب والنسب هم الفئة التي تملك الحق في التميز والعلو وترى غيرها ليس أهلا لذلك**

---

[1] ينظر: **الغرور سلوك مصدره شعور بالنقص وليس ثقة بالنفس،2019/ 26/05 www.alittihad.ae 14:20**

أي تُسقط نسب الآخرين بدعْوى خلوه من الحسب وإن كان النسب حقا طبيعيا يتساوى فيه البشر وهنا تأتي مقولات التمييز العرقي والعنصري.»[1]

لكن هذه القضية مازالت مستمرة ومتداولة في عصرنا هذا والتي لم تهزم أمام أي تحضر وهذا ما أكده عبد الله الغذامي في هذا الطرح «**إذ لابد أن نضع في اعتبارنا أن هذه أمور تواصلية، أي إنها لا تنقطع ولا تهزمها المثاليات والأخلاقيات ومثلما نجدها في ثقافة ما قبل التاريخ فإننا نجدها في ثقافة ما بعد الحداثة.**»[2] يوضح عبد الله الغذامي استمرار وتواصل قضية التفاخر بالأحساب ما دام التفكير ينحصر في المال والفخر بالنسب فلن تزول هذه العقلية الجاهلية ولن تهزم ما دام العقل ضعيف البصيرة ومنعدم التحضر.

وعادة ما يخفي المغتر رغبات جامحة أو نقائص يعاني منها، كالرغبة في إخفاء ما يشعر به من نقص في ذاته أو في عمله وهو حريص على أن يكون في أعين الناس كبيرًا حتى لا يكتشفون نقصه، أو كالرغبة بعدم الخضوع لأحد وقد تمتد هذه الرغبة في أقصى مداها إلى التمرد على طاعة الله.[3] فالغرور نهايته الندم والانكسار والتواضع ليس له نهاية، فهو بداية للرفعة في الدنيا والآخرة.

وفي هذه الرواية تجسدت تلك الصورة في شخصية "حنان" التي مثلت صورة الإنسان المتكبر والمفتخر بحسبه ونسبه الذي يعيش حياة الترف والبذخ، متناسيا الجانب الإنساني منه وأن الدنيا متاع زائل.

---

[1] عبد الله الغذامي، **القبيلة والقبائلية أو هويات ما بعد الحداثة**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2009، ص: 247.

[2] المرجع نفسه، ص: 35.

[3] ينظر: باسم ناظم سليمان، **مظاهر ثقافية في كتاب صيد الخاطر لابن الجوزي**، www.iasj.net **27/05/2019 15 :30**

أدت "حنان" دورًا هامًا في التأثير على بعض الشخصيات رغم دورها الثانوي فـ"حنان" ذات جذور أصيلة تنحدر من زمن الباشوات والأعيان، وصفتها الكاتبة بحبها الشديد للماديات، وكان تكوين العلاقات مع الطبقة الراقية الهدف الأكبر في حياتها.

فحينما قرر زوجها "كمال" الرحيل إلى الكويت للالتحاق بمنصبه كأستاذ جامعي رحبت "حنان" بالفكرة وسعادتها لا توصف، خاصة وقد كانت تنتظر الفرصة منذ زمن طويل، اعتقادًا منها أنها سوف تحسن مستوى معيشتها أكثر.

يمكن من خلال هذا التفكير أن نتصور عقلية وأفكار "حنان" الطبقية المتكبرة المغترة والجشعة التي ترفض أن تعيش ضمن ظروف عادية وإنما تريد عيشًا رغيدًا حسب رأيها.

كانت تشكيلة العائلة ثنائية التقسيم لكل تفكيره وخططه في الحياة، حيث كانت علاقة الفتاة بأبيها أقوى من علاقتها بأمها، فقد كان الأب "كمال" يحترم أفكار ابنته "سلمى" لدرجة كبيرة، بينما علاقة الأم بابنها "سلام" أقوى من علاقتها بابنتها لإعجابها الشديد بأفكار ومعتقدات "سلام"، هذه الأخيرة التي كانت تميل إلى الكبرياء والطبقية التي تقدسهما، حيث سعت "حنان" جاهدة أن تغرس في "سلام" حب الذات والأنانية والبحث عن الثروة بأي طريقة والتوجه إلى التفتح والتمتع بملذات الحياة من ماديات ورخاء، وذلك لا يتسنى إلا بالسفر إلى الدول اللاتينية، تقول الكاتبة: «**كانت "نعم" و"أحسنت يا حبيبي" و "أنت الوحيد الذي يفرحني في هذا المنزل" أكثر الجمل التي تتردد دائما على لسان حنان استحسانا لسلوكيات ولدهما والتي كانت تزيد من عجرفته وتطلق العنان لأحلامه وأوهامه كما كانت تسميها سلمى للوصول إلى مبتغاه**»[1]

[1] الرواية، ص: 11.

هكذا كانت تشجيعات "حنان" لابنها بلا هدف سوى للمتعة والعيش برفاهية، فكان حصاد ما زرعته في ابنها شخص وكأنه آلة ممتلئة بأفكار تسيرها، هذا ما كان يؤلم "سلمى" التي كانت تنصحه وترشده لخوفها على أخيها الذي يسلك بأفكاره هذه طريق الضياع، أما "كمال" فكان بشخصيته السلبية المنطوية يقف بصمت أمام أوامر زوجته وعجرفتها ويشاهد ضياع ابنه إلى الهاوية.

فشخصية "حنان" لم تعكس المعنى الحقيقي الذي يحمله اسمها لأنها تسعى دائما لإشباع رغباتها في جو التفاخر وحب المظاهر والتكبر.

إنّ رحيلها إلى الكويت كان بمثابة الانطلاقة الحقيقية لتحقيق أحلامها وأمانيها على عكس ابنتها وزوجها اللذين رحلا والحزن يسكنهما بعد أن ودعا جميع معارفهم وأصدقائهم أما هي وابنها "سلام" فاندمجا بسرعة واستطاعت أن تجد العائلات الراقية التي لطالما كانت تبحث عنها.

كان الجشع والطمع يعميان نظر "حنان"، إذ كان ربط العلاقات والدخول في عالم الطبقية الراقية همها الوحيد، فجعل منها امرأة متسلطة متكبرة أمام الطبقات البسيطة تقول الكاتبة: «**أما حنان فهي تعيش يومياتها المرتبطة بالمناسبات والزيارات والعلاقات الاجتماعية التي تعتبرها الأكسجين والهواء الذي تتنفسه وتحرّم على نفسها العلاقات المتواضعة والتي تعتبر أن نتيجتها العدم وأنها انحدار لاسم عائلتها ومضيعة للوقت.**»[1] فـ"حنان" مازالت تعتقد بأن الاحتكاك بالآخر البسيط سيحط من قيمتها وقيمة انتسابها للعائلة العريقة ولا تدرك أن الغرور أو التكبر سلوك منحط في حد ذاته، تورد الكاتبة في موضع آخر «**هكذا كانت حياة الترف كما تسميها هي والمستوى المادي الذي كانت تعيشه حتى ولو كان أكبر من مستواها وأفكار الطبقية التي تعيشها سيطرت**

---

[1] الرواية، ص:15.

على عقلها ولو كانت لا تحمل حتى فكرة إنسانية المهم المحافظة على الإرث العائلي وهو الاسم بغض النظر عن الوطن والأرض والعادات والتقاليد المهم أن تكون مجموعتها التي تنتمي إليها من الأقلية وهي النخبة نخبة الطبقة الراقية»[1]

من خلال هذا المقطع يتضح لنا أن "حنان" لم تكن تلك الأم المثالية التي تربي أولادها على التواضع وحب الآخرين واحترامهم مهما كان مستواهم، بل كانت الأم المتعجرفة المتسلطة بأوامرها على زوجها القاسية على ابنتها، سعيها الدائم وراء شهواتها المادية وزخارف الدنيا ومباهجها الفاتنة وحبها لأهل الدنيا والتملق لهم.

صحيح أن عائلة لغوندي تنتمي إلى الطبقة المرموقة والراقية لكنها كانت دائما تفتقر إلى جو الأسرة ودفئها، فـ"سلمى" كانت تتودد إلى منزل "خلود" لأنها تجد فيهم ما يغيب في بيتها، حنان الأم وعطفها وحبهم لبعض، فما يجمعهم هو وقت العشاء وفي بعض الأحيان حتى هذا الأخير يندثر وراء المناسبات التي يحضرها "كمال" رفقة زوجته أو عشاء العمل، منزل وكأنه فندق كل واحد في غرفته يبحث عن أحلامه الضائعة.

فهذا هو حال العائلات الراقية التي تكون فيه الأم ضائعة في ملذات الدنيا وبهجاتها، مشتتة الذهن ومضطربة النفس تغرس في أولادها حب الذات والطمع والجشع تقول الكاتبة: «**أما حياة كمال فكانت مقسومة بين العمل صباحًا وإشباع رغبات حنان من خلال الزيارات والمناسبات، رغباتها تلك المرأة المتسلطة وذلك بالتودد لعائلات راقية والاندماج في مجتمع تود أن تضع فيه بصمتها وأن ترسم لنفسها حيّزا وحدودًا لا يمكن لأحد من الأشخاص غير المرغوبين فيهم أن يدخلوه.**»[2]

---

[1] الرواية، ص: 15.

[2] المصدر نفسه، ص: 15، 16.

استقراءً لهذا المقطع وما بين ثناياه نلحظ أن الكاتبة تطرح فكرة إثبات الذات من العدم ذلك من خلال التظاهر بامتلاك المال والسلطة والجاه في وسط تلك الزيارات واللقاءات الفاخرة فـ"حنان" بطموحها الجامح إلى الامتياز على الآخرين ورغبتها المجنونة في إثبات نفسها بغير حق وإبراز ما تفقده أرادت أن تخفي نقصها بارتداء غطاء الغرور والتكبر الكاشف الذي لا يرفع الفرد بل يحط من قيمته الإنسانية.

فالكبر والغرور سلوكان يعكسان شخصية الفرد ومعاملته مع المحيطين به، فهو لا يأتي من فراغ وإنما هو نتيجة ما تراكم عنده طيلة مراحل حياته، وبما أن "حنان" ذات جذور تنحدر من زمن الباشاوات والأعيان وعيشها في بيئة تفتخر وتتباهى بأحسابها جعلها تتلقى هذه العقلية وتورثها لأبنائها ويمكن معالجة تلك القضية من زاويتين.

الغرور داء يدل على نقص الفطنة وطمس بصيرة العقل ونوره، فينخدع الإنسان بما آتاه الله سبحانه وتعالى على الناس ويتكبر لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧﴾[1] فالتكبر لا يعني أن الإنسان له ثقة كبيرة في نفسه بل قد يكون شعورٌ بالنقص داخله فيحاول مُداراته عن الناس في ثوب التكبر والغرور

"حنان" أرادت أن تثبت نفسها داخل هذه المجتمعات الراقية وتبرز كيانها في وسط تلك اللقاءات، وهذا راجع لنقص إيمانها وفراغها الروحي الذي يدفع الإنسان لشتاته وانبهاره بملذات الدنيا ونسيان الدار الباقية.

ومن جهة أخرى ثقافتها الضيقة التي لا تتسع سوى للمال والطمع، فغياب التحضر الفكري لدى هذه الطبقات لانغماس فكرهم وانحصاره في حب الماديات والمتع

[1] الانفطار /6، 7.

الحسية وشعورها بعدم امتلاكها لأي موهبة أو قدرة جعلها تسلك هذا الطريق البشع الذي ينفر منه الناس الذين يكونون على درجة عالية من الوعي والانضباط الأخلاقي.

إن جشع "حنان" وطمعها وإهمالها لعائلتها دفع بها إلى فقدان ابنها "سلام" ورحيله إلى الخارج حيث كانت تشجعه على السفر والتفتح وكسب الثروة لكنها في الأخير ندمت وتحسرت على ما فات من الوقت الذي تقضيه رفقة عائلتها فكانت نهايتها الوحدة.

ومن جهة أخرى أخفى تكبر وغرور "حنان" نسقا مضمرًا عالجته الكاتبة في شخصية "حنان" واهتمامها بالمظاهر والفخر بأنسابها، وبهذا وصلت حنان إلى «**إشباع رغباتها والتفاخر أمام صديقاتها.**»[1] مطامع أنبتتها طبيعة الحكم الملكي السائد في دول الخليج فجعلوا اهتمام الفرد ينصب في المتع الحسية، واستغلال الآخر واحتقار الفقير ونظرتهم الدونية للضعيف منهم، وهذا ما أدى إلى تخلي الإنسان عن مبادئه الإنسانية كالشفقة على المسكين والاحتكاك بالطبقات البسيطة، فأصبح الإنسان سطحيا يعاني فراغًا روحيًا كبيرًا وهي لعبة تعتمد على مبدأ العمى الفكري الفطن ليتجاوزوا به المساءلة ويحدث نوع من التسليم المطلق بهذه السياسة التي تخفي عنهم أهدافًا خبيثة تجعل الواحد منهم ينصاع وراء الماديات ومباهج الدنيا ومفاتنها.

فالكاتبة توجه نقدًا لهاته الفئات من المجتمع . الخليجي . من خلال شخصية "حنان" التي جسدت دور الإنسان المغتر بماله وجاهه لأن الغرور من الجهل والحماقة والسفه فيظن المتكبر أنه أفضل الناس نسبًا وأعتاهم مالاً وأكثرهم علمًا، فحب المظاهر والتفاخر بالأحساب عودة للهويات والطائفيات القديمة لذلك تحارب الكاتبة فكرة الطوائف والتفريق بين طبقات المجتمع وتدعو لمحو هذه العقلية الجاهلية التي مازالت راسخة في بعض الدول العربية والتي تؤدي بهم في كثير من الأحيان لقيام الصراعات والنزاعات بينهم.

---

[1] الرواية، ص: 40.

يتضح مما تقدم محاولة الروائية من خلال هذا التجسيد تقوية الوازع الديني لدى المتلقي وتذكير الإنسان بمعرفة حدود النفس وقدرتها وأن التحلي بالأخلاق الفاضلة خير دعامة في حياته، بينما التفاخر والتكبر على الآخرين هي معول الخراب والهدم.

4 . عادات وتقاليد المجتمع الكويتي

تتعدد عادات وتقاليد الأمم بتعدد ثقافاتهم وتباينها في المجتمع فنجد «**لكل شعب من شعوب العالم تقاليده وعاداته تميزه عن باقي الشعوب، وكثيرًا ما تكون هذه العادات وليدة حكايات شعبية أو أساطير يتناقلها الأحفاد عن الأجداد ويتمسكون بها خوفًا من ضياعها في متاهات التقدم والحضارة.**»[1]

فالعادات والتقاليد هي أمور تداولها المجتمع أبًا عن جدٍ بحيث أصبحت «**جزءًا لا يتجزأ من الحياة، ولا يقتصر الموضوع على مجموعة من العادات التي مازلنا نتعامل معها أو نستذكرها، ولكنّها تتعلق أحيانًا بعمق التاريخ العريق للوطن بأكمله، ففي كل منطقة تتجلى العادات والتقاليد المحلية التي يصعب التخلي عنها لسهولة السير مع التيار أو لأن التغيير قد يعرضنا للاستهزاء وتشويه للسمعة.**»[2]

وإذا ما عدنا للرواية نجد أن الكاتبة "بشرى بوشارب" أرادت التعريف بثقافة المجتمع الكويتي المحافظ الذي ما يزال يتمسك بعاداته وتقاليده ويرى أنّها ركن أساسي من أركان الدولة الكويتية فإذا سقط هذا الركن تسقط جميع مقوماتها فعادات وتقاليد الزواج في منطقة الكويت يختلف عن باقي المناطق الأخرى، وقد صورت لنا الروائية هذه العادات في زواج "صالح" من "سلمى" فبعد أن التقى "صالح" "بسلمى" عندما ذهبت هي وصديقتها "خلود" في رحلة للبنان هدية لهما بمناسبة تخرجهما من الجامعة هنا أعجب "صالح"

---

[1] أديب أبي ضاهر، **عادات الشعوب وتقاليدها**، دار الكتاب العربي، الرياض، السعودية، ط1، 1992، ص:3.

[2] أمين عرفان، **العادات والتقاليد**، مجلة القبس، 14 سبتمبر 2017.

بـ"سلمى" خاصة وأنها فتاة مثقفة تنتمي لعائلة ذات سمعة جيدة فتقدم لخطبتها رسميًا وخرق تقاليد المجتمع الكويتي الذي يعطي المشورة للأهل في اختيار الزوجة ولا دخل للزوج في إبداء رأيه في هذا الزواج وما عليه إلا القبول وعدم الرفض لهذا الطلب لأن رفضه يعد كسر لكلمة وسلطة أهله، لكن "صالح" تمرد على العرف والتقاليد السائدة في مجتمعهم واختار هو شريكة حياته وأخذ أهله لخطبتها تقول الروائية: «**جاء اليوم الموعود خطبة صالح وسلمى بعد أن رافقه العم حسين والست "عايدة" بالإضافة إلى والدته الطاعنة في السن الست "حبيبة" وكبار النسوة من أقاربه (...) وكانت ليلة من ألف ليلة وليلة تحقق فيها حلم صالح بالزواج من سلمى.**»[1]

في هذا النص دعوة ضمنية تمثلت في فكرة التحرر من العادات والتقاليد التي يفرضها علينا المجتمع التقليدي القديم، فبعد موافقة والد "سلمى" "كمال" على هذا الزواج كان شرطه الوحيد هو سعادة ابنته في هذه الدنيا وبعدها بأيام «**أحضرت النسوة الدزة*** **وبها البقشة وهو عبارة عن صندوق يحمل هذه الأخيرة بداخله أنواع من الأقمشة بمختلف أشكالها وألوانها إضافة إلى العباءات وأغطية السرير والفوط مزينة بالحلي والمجوهرات وهذا حسب عاداتهم وتقاليدهم.**»[2]

إن المغزى الحقيقي الذي أرادت الروائية أن تقدمه لنا في شكل رسالة مبطنة تمثل في فكرة تأييدها للزواج التقليدي الذي يقرره أهل العريس فـ"صالح" لو لم يخرج عن العرف السائد ويكسر تقاليد مجتمعه في اختياره للزوجة ما كان له أن يقع فيما هو واقع فيه الآن زواج فاشل وحياة تعيسة فأحيانًا خروجنا عن عاداتنا وتقاليدنا يؤدي بنا إلى الهاوية

---

[1] الرواية، ص: 39.

* **الدزة:** هي المهر الذي تكون قيمته حسب حالة المعرس المادية وتكون "البقشة" من ضمن الدزة //sites.google.com mrasm-alzwaj.https : 24/05/2019 14 :30

[2] الرواية، ص: 40.

خصوصًا إذا تزوج الإنسان من فتاة ليست من بلده فإذا وقع مكروهٌ بين البلدين يُحمِّل تلك الفتاة السبب وهذا هو حال "صالح" و"سلمى" بسبب الحرب بين العراق والكويت.

إن تحطيم "صالح" لعاداته وتقاليده لا يعني تحطيمه لباقي العناصر الأخرى التي يجب أن يتوفر عليها الزواج الكويتي، فبعدها بفترة وجيزة بدأت التجهيزات للعرس ففي **«عام 1985 وبالضبط في شهر فبراير بدأت مراسيم الزفاف بعقد القران في بيت العريس ويدعى بالملجة بعد أن قام صالح بتقديم العشاء للأقارب والأصدقاء في ديوانه وكان عرسا رائعا قدم له كل من أحبه وعرفه ولبوا دعوته باعتباره من خيرة الشباب وأحسنهم.»**[1]

من عادات المجتمع الكويتي أيضا أنّه في يوم العرس يقدم أهل العروس **«الشاي والقهوة للمدعوين وأهل العريس ورشّهم بماء الورد من طرف أهل العروس ليُزف في الأخير العريس وهو مكسو بالغترة* والعقال** إضافة إلى الدشداشة *** والبشت**** رفقة عروسه في بيتهما عقب صلاة العشاء حسب التقاليد المعمول بها في بلدهم الكويت.»**[2]

---

[1] الرواية، ص: 40.

* **الغترة:** غطاء الرأس وهي عبارة عن قطعة نسيج قطني تُرتدى بعد أن تطوى على هيئة مثلث قد تكون من نسيج متماسك من خيوط بيضاء وحمراء تسمى شماغ أو قد تكون من صوف الكشمير الأبيض وتطرز أطرفها وزواياها بنقوش لزهور فنية مميزة وتسمى شال.

** **العقال:** إطار للرأس من الخيوط السوداء الملفوفة كان يُصنع عادةً من لفائف من خيوط سميكة من الصوف الأسود والبني والأبيض تفصلها عن بعضها وصلات من خيوط ملونة من الصوف أو الخيوط الذهبية.

*** **الدشداشة:** ثوب واسع من القطن الأبيض بأكمام طويلة وفتحة عنق ضيقة ولهذا الثوب فتحة من وسط الصدر حتى المنتصف.

**** **البشت:** عباءة من الصوف أو الوبر المغزول غزلاً ناعمًا وتتدرج ألوانه من الأسود والبني حتى الرمادي والبيج ولكل نوع سمك معني بحسب الاستخدام Aboutkuwait,https://www.e.gov.kw.24/05/2019 20: 15

[2] الرواية، ص:41.

انطلاقا مما سبق حاول "صالح" إثبات هويته والتعريف بالثقافة الكويتية خصوصا محافظة الخالدية من خلال تمسكه بموروثه الشعبي القديم والمتمثل في الألبسة التي يرتديها العريس يوم زفافه والتي يرى فيها رمزًا وطنيًا وشعبيًا ذا قيمة مميزة وهامة عند أهل الخليج العربي لابد من ارتدائه في مثل هذه المناسبات اعتزازًا بثقافتهم الشعبية، لأن عدم ارتدائه يعد فقدانًا للهوية الخليجية.

ضف إلى ذلك تطبيقه لبقية العادات والتقاليد الأخرى كإحضاره للوازم العروس وطريقة زفها إلى بيت زوجها حسب العادات والتقاليد المعمول بها في تلك المحافظة، فكل هذه الأمور التي تخص العرس الكويتي طبقها "صالح" لأنّه يرى فيها ركن رئيس لا يمكن تجاوزه ماعدا ركن اختيار الزوجة الذي كان ينظر له على أنّه له كامل الحق في خرق وكسر قاعدته التقليدية القديمة.

وعليه، فالعادات والتقاليد تُعد أحد أهم عناصر ومقومات الأنساق الثقافية، لذا حاولت الروائية إبرازها للقارئ حتى يتسنى له معرفة ثقافة الشعب الكويتي في الزواج والتي يرى فيها أنّها إثبات لهويته العربية الأصيلة.

الدزة

العقال

البشت

الغترة

الدشداشة

خلاصة الفصل:

من أهم النتائج التي توصلنا إليها في هذا الفصل نذكر ما يأتي:

- تعد مضمرات الأسماء من بين الأنساق الثقافية الهامة داخل المتن الروائي، لذا عملت الروائية على تجسيد بعض المفارقات في أسماء شخصياتها من أجل كسر أفق توقع القارئ وجعله ينقب فيما وراء الظاهر حتى يتسنى له كشف المضمر.
- يشكل النسق السياسي في الرواية محورًا أساسيًا كونه من أهم الأنساق الثقافية التي ركزت عليها الكاتبة في قضية أزمة حرب الخليج وآثارها المدمرة على المجتمع.
- قامت الروائية برسم صورة سلبية لشخصية حنان عن فكرها الطبقي الذي بات هاجسها في هذه الحياة وأرادت تجسيده في قضية الحسب والنسب.
- تطالعنا الرواية على موروث ثقافي تمثل في عادات وتقاليد المجتمع الكويتي في الزواج وكيفية تمسكهم بهذه الثقافة التي يرون فيها رمزًا وطنيا لهويتهم الخليجية.

خـاتـمـة

في ختام بحثنا الموسوم بـ: الأنساق الثقافية في رواية "حروف الدم" لـ:"بشرى بوشارب" توصلنا إلى النقاط الآتية:

- رسمت لنا الروائية صور مختلفة للمرأة منها: المثقفة، والمضطهدة والمهاجرة من أجل تعرية الواقع والكشف عن مكانتها في ظل المجتمع الذكوري الظالم.
- حاولت الروائية إثبات صورة المرأة المثقفة التي عملت على استرجاع حريتها المسلوبة من خلال تأثيرها في المجتمع والتأثر به في الوقت نفسه من أجل بناء مجتمع متفائل لما هو آتٍ في المستقبل القريب.
- كشفت الكاتبة عن العنف اللفظي والجسدي الذي مازالت تتعرض له المرأة في الواقع.
- حوى المتن الروائي نسقًا دينيًا هامًا تمثل في دفاع المسلمين عن سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم من خلال ذلك الرسم الكاريكاتوري المسيء لصورته في الدنمارك.
- جسدت لنا الروائية "بشرى بوشارب" صورة العربي الذي عمل على طمس هويته العربية وأراد الذوبان في الآخر الغربي للتمتع بملذات الدنيا في دول تؤمن بفكرة التحرر وعدم التبعية.
- عملت الكاتبة على خرق أفق توقع القارئ في توظيفها لأسماء شخصياتها عن طريق شحن بعض الأسماء بشحنات سلبية تجعل المتلقي يتساءل عن أسباب توظيفها لهذه المفارقات.
- في النسق السياسي تعرضت "بشرى بوشارب" إلى قضية الوحدة العربية من خلال شخصيتي سلمى وخلود ففي ذلك تنبيه للقارئ بعروبيته التي لا تندثر في خضم تلك النزاعات السياسية.
- مثلت "حرب الخليج" في المتن الروائي واجهة لتعبر بها الكاتبة عن تأسفها وتوجعها لما يحدث اليوم في عالمنا العربي.

- تعالج الكاتبة مشكلة تخلف فكر الإنسان الحداثي لارتباطه بقضايا جاهلية ورثها عن أجداده لتصور بذلك واقع الثقافة العربية.
- قدمت لنا الروائية نموذجًا هامًا عن عادات وتقاليد المجتمع الخليجي في الزواج وكيفية محافظتهم على هذا الموروث الشعبي القديم لحد الآن.

وفي الأخير نحمد الله ونشكره الذي وفقنا في إتمام هذا العمل راجين منه التوفيق والسداد.

مـلحق

السيرة الذاتية للكاتبة:

بشرى بوشارب شابة جزائرية من مواليد 16 أبريل 1981 في قسنطينة، خريجة كلية الحقوق مـن جامعة قسنطينة، حاصلة على شهادة الكفـاءة المهنية تعمل ضابطة رقابة في مديرية الجمارك بقسنطينة كاتبة جزائرية في عمر الزهور احتفلت بتاريخ 2 أغسطس 2015 بصدور أول عمـل روائي لها حروف الدم ولقي عملها الروائي هذا رواجا كبيرًا في الساحة الأدبية وتلقت بخصوصه عرضا من قبل إحدى شركات الإنتاج الأردنية لتحويل روايتها إلى مسلسل درامي عربي فاضطرت الشابة الجزائرية رفض هذا العرض خوفًا من تعرضها للسرقة الأدبية فضلا عن صعوبة تفرغها للعمل في هذا المجال.

ملخص الرواية:

تعد رواية "حروف الدم" رواية اجتماعية مأساوية تشخص بعمق مشاكل الفرد في مجتمع تلاشت فيه القيم النبيلة وقتلت فيه المحبة والوفاء في ظروف جد قاسية ومؤلمة قد يكون المرض أحيانا أو الفقر أو الخيانة وحتى الفراق، لكن في قصة هذه الحرب وأي حرب فرقت وشردت عائلات وأسر من بينها حكاية هذه العائلة الصغيرة، فرقت وشردت وحكم على سعادتها بالإعدام، ولكن يبقى قضاء الله وقدره أقوى وهل لنا إلا أن نسلم به.

تحكي هذه الرواية قصة سلمى التي تنحدر من عائلة عراقية رحلت مع أهلها للكويت بعد أن حصل والدها كمال على عقد عمل للالتحاق بمنصبه كأستاذ جامعي بالجامعة الكويتية وهنا تعرفت سلمى على خلود وكانت لها بمثابة الأخت التي لا طالما حلمت بها.

وفي نهاية مشوارهم الجامعي أهدت العائلتان لابنتيهما رحلة إلى لبنان وهذا باقتراح العم حسين والد خلود كونه يملك وكالة للأسفار، فكانت أول سفرية للفتاتان دون أهليهما وقد أوصى والد خلود معارفه لاستقبالهما.

وهناك تعرفت سلمى على صالح كونه صديقا مقربا لعائلة خلود وبعدها بدأت أحداث الرواية تتطور شيئا فشيئا حتى تقدم صالح لخطبة سلمى التي رأى فيها صفات البنت المؤدبة الخجولة فوافقت سلمى على الزواج منه، وعاشت معه حياة سعيدة إلا أن رزقهما الله بأسامة فكبر الولد بين عائلة مثقفة ومتحضرة أم عراقية وأب كويتي إلى أن جاء اليوم المشؤوم الذي غير حياة هذه الأسرة رأسا على عقب حين توغلت القوات العراقية إلى الكويت في هذه الأثناء «**كانت تصرفات صالح تتغير شيئا فشيئا مع سلمى تميل نحو العصبية والعزلة في أغلب الأحيان، فقد كانت سلمى تعيش بين المطرقة والسندان في ظل هذه الظروف تطير مبعثرة في الهواء وكأنها ريشة قذفت بها الأشجار**

وهي لا تدري أين هي بسبب علاقتها التي تسوء يوما بعد يوم مع زوجها من جراء هذه الأحداث.»[1]

فكانت ليلة سقوط الكويت واحتلالها نفسها ليلة سقوط منزل سلمى وكثيرًا من المنازل «**فأصبح صالح وحشا كاسرًا يحطم كل ما يراه أمامه وقد تأثر أكثر عندما أسر العديد من معارفه وأصدقائه وتيقنت سلمى بأنها بداية للآلام والمآسي.**»[2] فأضحى صالح يعاملها معاملة قاسية وكانت الطامة الكبرى حين قرر سلبها ابنها أسامة من غير سابق إنذار اعتقادا منه أنه سيحميه من امرأة جميع أهلها مجرمون، فحبسها وحرمها من كل شيء عندها قررت خلود مساعدتها في الهروب إلى الخارج لكن سلمى رفضت هذا الطلب وقالت لها: «**ما الذي تقولينه يا خلود لن أترك ولدي سأبقى هنا وأحاول مع صالح يمكن أن تتحسن الأوضاع مع الأيام ويرجع صالح إلى صوابه.**»[3] ومع هذا كله استطاعت خلود إقناع سلمى بالرحيل دون رجعة مع أمل لقائها بابنها في ظروف أحسن.

وبعد رحيل سلمى وتحسن الأوضاع في الكويت ندم صالح ندمًا شديدًا على فقدان أعز امرأة عرفها في حياته فقرر الرحيل إلى سويسرا مع ابنه هروبًا من الواقع المرير ليداوي أحزانه، فكبر أسامة وتزوج صالح في سويسرا من إيزابيل أمريكية الجنسية عملت عنده في الشركة وكان شرطه الوحيد أن تعتنق الإسلام وفعلا وافقت على طلبه هذا ودخلت إلى الإسلام ثم غيرت اسمها إلى نورة وكانت لأسامة نعم الأم عوضته حنان أمه الراحلة منذ سنوات بعيدة إلا أن أسامة لم يعجبه الحال في سويسرا لأنه ترك أحبائه في الكويت فقرر الرجوع مع والده إلى هناك وفي الليلة التي جهزت فيها العائلة حقائبها للعودة

---

[1] الرواية، ص: 53.

[2] المصدر نفسه، ص: 54.

[3] المصدر نفسه، ص: 57.

إلى أرض الوطن تعرض كلاًّ من صالح ونورة لحادث مرور أدى بهما إلى الوفاة فظل أسامة وحيدًا لأنه فقد سنده في هذه الحياة.

رجع أسامة إلى الكويت والحزن يملأ قلبه على فقدان أمه أولا ثم والده وبعدها مباشرة قرر أسامة البحث عن والدته فأخبرته نرجس أن والدته لم تتركه بل الظروف هي التي فرضت عليها ذلك وبقي أسامة في حيرة من أمره يبحث عن السبب الذي تركته أمه من أجله قبل رحيلها إلى الدنمارك، بعدها قرر الذهاب إلى هناك على أمل لقائه بوالدته حاول أن يكون قريبا من العنوان الذي دلته عليه خلود، لكن لم يساعفه الحظ في إيجادها وبقي يبحث عنها إلى أن تعرف على ريتشارد الذي أصبح بمثابة صديقٍ وأخٍ له، فقص عليه عذابه ومعاناته وشوقه لرؤية أمه وبعد بحث طويل تعرف أسامة على لجين وكانت هي أخته التي بقيت له من أمه ووجد عندها نصف الرسالة التي تركتها لها أمها فأخبرته أنها قد توفيت وهي تحترق شوقًا لرؤيته«**وهكذا تلاشت الغيوم وجمعت الرسالة بين الأخوين سر أخفته أم من خوفها على ولديها وكان أملها الوحيد هو لقاءهما.**»[1] وفعلا تحققت أمنيتها وعاد شمل العائلة من جديد.

[1] الرواية، ص: 201.

قـائمـة المصـادر

والمـراجـع

❖ **القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم**

أولا: المصادر

1. بشرى بوشارب، حروف الدم، منشورات فاصلة، قسنطينة، الجزائر، ط1، 2015.

ثانيا: المراجع

أ/ المراجع العربية:

1. أديب أبي ضاهر، عادات الشعوب وتقاليدها، دار الكاتب العربي، الرياض، السعودية، ط1، 1992.
2. بابكر رحمة الله محمد أحمد، مكانة المرأة وواقعها قبل الإسلام مقارنة بواقعها ومكانتها في الإسلام، مركز البحوث والدراسات الثقافية، الخرطوم، السودان، (د.ط)، 2013.
3. البهي الخولي، الإسلام وقضايا المرأة المعاصرة، دار القلم، الكويت، الكويت، ط4، 1984.
4. حسين مناصرة، المرأة وعلاقتها بالآخر في الرواية العربيّة الفلسطينية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2002.
5. سلامة موسى، المرأة ليست لعبة الرجل، كلمات عربية، القاهرة، مصر، (د.ط)، (د.ت).
6. صالح مفقودة، المرأة في الرواية الجزائرية، دار الشروق للطباعة والنشر والتوزيع، بسكرة، الجزائر، ط2، 2009.
7. ضياء الكعبي، السرد العربي القديم (الأنساق الثقافية وإشكالية التأويل)، دار فارس للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2005.
8. عبد الرحمان النوايتي، السرد والأنساق الثقافية في الكتابة الروائية، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2016.

9. عبد السلام محمد الشاذلي، شخصية المثقف في الرواية العربية الحديثة، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1985.

10. عبد العزيز حمودة، المرايا المحدبة (من البنيوية إلى التفكيك)، عالم المعرفة، الكويت، الكويت، (د.ط)، 1998.

11. عبد الله الغذامي وعبد النبي إصطيف، نقد ثقافي أم نقد أدبي، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 2004.

12. عبد الله الغذامي، القبيلة والقبائلية أو هويات ما بعد الحداثة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2009.

13. عبد الله الغذامي، النقد الثقافي (قراءة في الأنساق الثقافية العربية)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2005.

14. عبد الله محمد الغذامي، المرأة واللغة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1996.

15. محمد الغزالي وآخرون، المرأة في الإسلام، مطبوعات أخبار اليوم، (د.ن)، (د.ط)، (د.ت).

16. محمد بن لافي اللويش، جدل الجمالي والفكري (قراءة في نظرية الأنساق المضمرة عند الغذامي)، النادي الأدبي بحائل، بيروت، لبنان، ط1، 2010.

17. محمد حسن غانم، مدخل إلى سيكولوجية المرأة (قضايا واستشكالات نفسية . اجتماعية . إقتصادية)، إيتراك للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2010.

18. محمد حسنين هيكل، حرب الخليج أوهام القوة والنصر، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، مصر، ط1، 1992.

19. محمد حسين فضل الله، الهجرة والاغتراب، مؤسسة العارف للمطبوعات، دمشق، سوريا، (د.ط)، 1999.

20. محمد حسين فضل الله، تحديات المهجر بين الأصالة والمعاصرة، دار الملاك للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2000.

21. محمد علي التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 1996.

22. محمد مفتاح، التشابه والاختلاف، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1996.

23. محمد ولد عبدي، السياق والأنساق في الثقافة الموريتانية، دار نينوى، دمشق، سوريا، (د.ط)، 2009.

24. مصطفى فاسي، دراسات في الرواية الجزائرية، دار القصبة للنشر، حيدرة، الجزائر، (د.ط)، 2000.

25. منصور الرفاعي عبيد، المرأة ماضيها وحاضرها، أوراق شرقية، بيروت، لبنان، ط1، 2000.

26. هشام شرابي، مقدمات لدراسة المجتمع العربي، الدار المتحدة للنشر، بيروت، لبنان، ط3، 1984.

27. واسيني الأعرج، مي ليالي إيزيس كوبيا (ثلاثمائة ليلة وليلة في جحيم العصفورية)، بردية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط2، 2018.

28. يوسف عليمات، النسق الثقافي (قراءة ثقافية في أنساق الشعر العربي القديم)، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2009.

29. يوسف محمود عليمات، النقد النسقي، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2015.

ب/ المراجع المترجمة:

30. إديث كريزويل، عصر البنيوية، تر: جابر عصفور، دار سعاد الصباح، الكويت، الكويت، ط1، 1993.

31. آرثر أيزابرجر، النقد الثقافي (تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية)، تر: وفاء إبراهيم ورمضان بسطاويس، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، ط1، 2003.

32. بيترل بيرجر، ماري روجلاس وآخرون، تحليل الثقافي، تر: فاروق أحمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، (د.ط)، 2009.

33. ماري نوال غاري بريور، المصطلحات المفاتيح في اللسانيات، تر: عبد القادر فهيم الشيباني، (د.ن)، سيدي بلعباس، الجزائر، ط1، 2007.

34. مجموعة من الكتاب، نظرية الثقافة، تر: علي سيد الصاوي، دار المعرفة، الكويت، الكويت، (د.ط)، 1978.

ج/ المعاجم والقواميس:

35. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت).

36. أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1982.

37. الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: عبد الفتاح الحلو، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، الكويت، ط1، 1986.

38. الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط8، 2005.

39. مجدي وهبة وكمال المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1984.

40. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، المجمع العربي الأساسي لاروس، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، تونس، (د.ط)، 1988.

41. ميجان الرويلي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2002.

42. وليد ناصيف، الأسماء ومعانيها، دار الكتاب العربي، دمشق، سوريا، ط1، 1997.

د/ الرسائل الجامعية:

43. نبيلة فايزة السيوف، قضايا المرأة بين الصمت والكلام في الرواية النسوية العربية، رسالة مقدمة استكمالا لمتطلبات درجة الماجستير في دراسات المرأة، كلية الدراسات العليا الجامعة الأردنية، صنعاء، اليمن، 2002.

هـ/ المجلات والدوريات:

44. أمين عرفان، العادات والتقاليد، مجلة القبس، 14 سبتمبر 2017.

45. عامر محمد حسين وإياد محمد حسين، مفهوم المثقف وتمثلاته في النص المسرحي العراقي (مسرحية أبي الطيب المتنبي أنموذجا)، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، مج7، ع3، 2017.

و/ المواقع الإلكترونية:

46. أمين بنسعيد، شبابنا بين الحنين لماضي الأمة والانبهار بالحضارة الغربية، www.nadarcity.com.

47. خالد الخراز، صورة المسلم، جريدة الأنباء، www.alanbaa.com

48. طارق حسن السقا، الانبهار بحضارة الغرب ذوبان للشخصية وفقدان للهوية، www.saaid.net.

49. عبد الله بن إبراهيم اللحيدان، سماحة الإسلام في معاملة غير المسلمين، www.hamlatelsakina.com

50. عبد الله بن إبراهيم اللحيدان، سماحة الإسلام في معاملة غير المسلمين، www.hamlatelsakina.com

51. محمد بن إبراهيم السبر، دفاعا عن الرسول صلى الله عليه وسلم، www.saaid.net.

52. محمود الهلالي، حرب الخليج الثانية، v.b.alhilal.com.

53. https://genderation.xyz/wiki

54. https://www.almaany.com

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	أ - ج
مدخل: الجهاز المفاهيمي للأنساق الثقافية	6
1 . النسق	6
1 . 1 المفهوم اللغوي	6
1 . 2 المفهوم الاصطلاحي	7
2 . الثقافة	11
2 . 1 المفهوم اللغوي	11
2 . 2 المفهوم الاصطلاحي	12
3 . الأنساق الثقافية	15
4 . النقد الثقافي	16
خلاصة المدخل	21
الفصل الأول: تجليات الأنساق الثقافية في رواية "حروف الدم" لـ:"بشرى بوشارب"	23
1 . صورة المرأة	23
1 . 1 المرأة المثقفة	27
1 . 2 المرأة المضطهدة	31
1 . 3 المرأة المهاجرة	34
2 . النسق الديني	38
2 . 1 دفاع المسلمين عن نبيهم الكريم	39
2 . 2 دينا وخلقا سبيلا في التوبة	45
3 . الوجهة الأوروبية	50
خلاصة الفصل	54
الفصل الثاني: استجلاء الأنساق الثقافية في رواية "حروف الدم" لـ: "بشرى بوشارب"	56

1 . نسق أسماء الشخصيات بين الظاهر والمضمر	56
1 . 1 اسم صالح	56
1 . 2 اسم حنان	60
1 . 3 اسم نرجس	62
2 . النسق السياسي الزلزال الذي عصف بمنطقة الخليج	65
3 . النسق الاجتماعي بين الواجهة الاجتماعية المرموقة وبين فكرها الرجعي	73
4 . عادات وتقاليد المجتمع الكويتي	80
خلاصة الفصل	85
خاتمة	87
ملحق	90
قائمة المصادر والمراجع	95
فهرس الموضوعات	102

ملخص

يهتم النقد الثقافي بوصفه توجهًا نقديًا حديثًا بدراسة النصوص من منظور ثقافي، وذلك بالكشف عن الأنساق الظاهرة منها والخفية، وبما أن الأنساق ذات طبيعة فاعلة ومؤثرة في توجيه ذائقة المستهلك الثقافية، فإن هذه الدراسة المعنونة بـ: الأنساق الثقافية في رواية "حروف الدم" لـ: "بشرى بوشارب" تهدف إلى تسليط الضوء على أهم الأنساق الواردة في نص الرواية ولإجراء ذلك قسم البحث إلى مدخل وفصلين تطبيقيين، حيث تضمن الأول دراسة أهم الأنساق الثقافية الظاهرة، ليكون الفصل الثاني محاولة لاستجلاء خبايا هذه الأنساق لنخلص في الأخير إلى خاتمة تجمل أهم النتائج المتوصل إليها

Résumé

Le Critique culturelle est considérée comme une critique moderne de l'étude des textes d'un point de vue culturel, en révélant les motifs apparents et cachés, ces motifs étant efficaces et influents pour guider la sensibilité culturelle du lecteur.

Cette étude intitulée conscience culturelle dans les lettres du sang de bouchra bouchareb vise à mettre en évidence les plus importantes dans le texte du roman.

Dans cette recherche nous avons divisé le travail en une entrée et deux chapitres appliqués où le premier comprenait l'étude des modèles culturels les plus importants, apparemment être le deuxième chapitre une tentative de découvrir le caché de ces formats, finalement nous avons résumé les résultats atteints dans la conclusion finale.